Copyright © King Saud University

٩٦٨
أدب

٣٠٤٣

٨١١ر٤ (شرح مقصورة ابن دريد) ، بخط عبدالله
ش
ابن يوسف الاخميمي سنة ١٢٧٥هـ
٩٧ ق ٢١ س ٢٣ر٥×١٦ر٥سم
نسخة حسنة ، باولها نقص ، خطها نسخ
معتاد
٣٠٤٣ ز ١- الشعر ، العصر العباسي الثاني ،
أدب اللغة العربية ١- الناسخ
ب- تاريخ النسخ

١(ج)(ط)
خ ٣٠٤٣
ف ٢/٧٦٠
١٤٠١/١٥ م

أكمل صلاته ووصل اليه ضاهبا لنادبيه على حاصد رمنه فغفر عنه ذاهبا
وقول كانما الصهباء مقطوب بها ماجنا ورد اذا الليل غسا يتاحه
راشف برد ريقها [illegible] بين بياض الظلم منها واللما ماخوذ من قول
امرء القيس

كان المدام وصوب الغمام … وريح الخزام ونشر القطر
يعل به برد انيابها … اذا طارت الطاير المستحر

وفي معنى ذلك قول حسان رضي الله عنه

كأن سبيبة من بيت راس … يكون مزاجها عسل وماء
على انيابها اوطعم غض … من التفاح هصره اجتناء

وانما تقطب الخمرة لحصول الاعتدال في مزاجها وفي طعمها يمكن استعمالها لانها
وان كانت صرفا تكون حارة قال ابو تمام

احد سمينه وفيه فكاهة … تحلو ولا جد لمن لم يلعب
شر وتتبع ذاك لين خليقة … لا خير في الصهبا مالم تقطب

وهذا بخلاف قول ابن قلاقس

لا تقتلوها بالمزاج غداة اشربها شفاها

ما في المروة انها … تحيي السرور وتقتلوها

وقول حسان

ان الذي ناولتني فرددتها … قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطني … بزجاجة ازكاهما للمفصل

وبايراد هذين البيتين ذكرت لطيفة وقعت لعم والدي عبد الرحمن بن ابي
كثير في مجلس المقدس المبرور مولانا السيد الشريف ابي نمي لا زال مهبطا

للزجاجات من الملك الحق وحين ان المرحوم سأله ان ينشدها له فقال له
ان الذى ناولتنى فرددته • فتلت سلمت فى كفه لم تقتل
فرد عليه بعض الحاضرين وانشد لمولانا المشار اليه البيت على اصله فقال
الشيخ عبد الرحمن اما اذا انشدت ذلك لك فالصواب قتلت قتلت واما
اذا انشدته لمولانا فالصواب ما سبق وبذكر التقطيب ذكرت الخلاف
بيننا وبين الحنفية فى تحريم سائر الانبذة حيث قلنا بتحريمها كما سبق
وقال الحنفية بحل ما عدا عصير العنب المشتد الذى قذف بالزبد واحتجوا
بقوله تعالى فى مقام الامتنان ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا الاية وبما رواه ابن عباس قال لما اتى النبى صلى الله عليه وسلم الى السقاية
عام حجة الوداع فاستند اليها وقال اسقونى قال العباس الا نسقيك
مما ننبذه فى بيوتنا فقال ما نسقى الناس فجاءه بقدح من نبيذ فشمه ثم قطب
وجهه ورده فقال العباس يا رسول الله افسدت على اهل مكة شرابهم
فقال ردوا على القدح فردوه فدعا بماء زمزم فصب فيه وشرب
وقال اذا اغتلمت عليكم هذه الاشربة فاقطعوا متونها بالماء ووجه
الاحتجاج ان التقطيب لا يكون الا من المشتد وجوابنا عن الاية المعارضة رضنة
بآيات التحريم اما نسخا واما تخصيصا وبما رواه ابو داود فى سننه
عن الشعبى عن ابن عمر عن عمر قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى خمسة من العنب
والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ما خامر العقل وبما رواه الضابعى
نافع عن ابن عمر عن عايشة وعن جابر وعن القاسم عنها وعن شهر بن حوشب
عن ام سلمة من نحو ذلك وعن حديث ابن عباس باحتمال نبذ ثمرات يسيرة
يحلو بها طعم الماء والتقطيب انما كان للطافة مزاج رسول الله صلى الله عليه

وسلم

اخر الابيات فلم ينهض لذلك فقال الاخر يعجبك قول العذرى •
لو جز بالسيف راسى فى محبتها • لمر يهوى سريعا نحوها راسى •
ولو بلى تحت اطباق الثرى جسدى • لكنت ابلى وما قلبى لكم ناسى •
او يقبض الله روحى صار ذكركم • روحا اعيش به ما دمت فى الناس
فتحرك وقال يا وجه ابعد ما يجز راسه يميل اليها ثم انشا يحدثنا ان الاولى
الذين فارقتهم من غير قلا بغض ما زاغ مال قلبى عنهم ولا هفا زل واستطير
وكأنه توهم ورود سوآل وهو انه لو كان الامر كما ذكر لعدت اليهم سيما بعد حصول
المراد فاجاب بقوله لكن لى عزما اذا امتطيته لمبهم الخطب فاه فانغانى
وفيه استعارة مكنية بتشبيه العزم بالمطية والفرس والخطب بالوغا واستعارة
تخييلية باثبات الامتطا للاول وتوصيف الثانى بكونه مسدودا واثبات الفعل
والانفعال ترشيح وعندى انه لو قال اذا انتضيته لكان ابلغ وانسب اما
الاول فلتشبيه العزم بالسيف المتداول بين البلغا لانه يوصل الى ما لا توصله
المطية او الفرس من الاثار واما الثانى فلمناسبة فاى لان القطع لا يستعمل ولا
يتسبب الا الى السيف ونحوه واما استعماله فى المطية والفرس فغير معروف
بل وغير مألوف والبيت مشتمل على الطباق البديعى الحاصل من مبهم وفاى وعلى الاستدراك
الحاصل من لكن ولى خبر وعزما الاسم وهو النفاذ فى الامر اذا امتطيته جعلته
مطية او فرسا اركب مطاه وقد تقدم بيانه لمبهم الخطب مسدود فاه شقه
فانغاى انشق وظهر خفيته وقوله ولو انشا مد مطربه الصبا على فى ظل نعيم وغنى
فيه غلو بديعى واستعارة مكنية لتشبيه الصبا بدايرة ذات اقطار اى جوانب وتخييلية
حاصلة من اثبات الاقطار ومن قوله مد ولو انشا اريد مع منحة ابنى ميكال لمدة
بسط مطربه والضمير يرجع الى الصبا وهو الفتوة واللهو لتقدمه فى الرتبة وان

تناظر فى اللفظ ولا باس بالتكلم على قطر الدائرة فنقول اما الدائرة فهى شكل مسطح يحيط
به خط واحد فى داخله نقطة نسبة كل الخطوط المستقيمة الخارجة منها الى
الخط متساوية وتلك النقطة مركز الدائرة والخط محيطها واما القطر فهو الخط المار
بالمركز المنصف للدائرة ونسبة القطر الى المحيط نسبة سبعة الى اثنين وعشرين
تقريبا قالوا ولا يعلم تحقيقه الا الله تعالى كنهاية العدد والجذر الاصم وتفصيل
ذلك ان اى عدد فرضته امكن ان يزاد عليه والجذر مقدار اذا ضرب فى نفسه قام
منه العدد وجذر الواحد مساوله وجذر الصحيح اقل منه كالتسعة مثلا فان
جذرها ثلاثة وجذر ~~الكسر اعضل~~ الكسر اكثر منه كالربع مثلا فان جذره
النصف والاعداد على قسمين قسم له جذر معلوم ويسمى المنوج كالواحد والاربعة
وقسم ليس له جذر معلوم وان كان لا بد له من جذر فى نفس الامر ويسمى الاصم كالعشرة
او ينقص عنها فلذا قال فلاسفة الهند سبحان العالم بمخارج الجذر الاصم وقال
بعض الرياضيين حين احتضر اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ونهاية العدد والجذر
الاصم اقبضنى اليك على زاوية قائمة واحشرنى على خط مستقيم وقد بينا فى
عيون المسائل جميع ذلك وقد تقرر عند الادبا ان كل من عانى فنا من الفنون
مال اليه وغلبت قواعده عليه واستعملها فى مقاصده الشعرية وتخيلاته
وظهر ما يرومه اصطلاح ذلك الفن فى كلام هذا الرياضى وكما حكى عن بعض الاطبا
انه كان فى خدمة بعض الملوك فى غزوة ولم يكن معه وقت النصرة كاتب الانشا
فامر الطبيب ان يكتب للوزير يعلمه بذلك فكتب اما بعد فانا كنا مع العدو
فى حلقة كدايرة البيمارستان حتى لو رميت بمبضع لما وقع الا على قيفال فلم يكن الا
كنبضة او نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل
المزاج وحكى عن القرين لما انكر عليه نقش لوح البريد الذى نقشه لعين الدولة

وطلب

وطلب طلبا عنيفا واختفى مدة انه كتب الى القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر
رقعة فيها يقبل الارض وينهى ان له ثلث سنة مختفى وهو مختف فى حواشى
البيت خوفا من الاشها فان المملوك يخشى الوقاع من صاحب الطومار والمملوك كذ
يسأل نسخ هذه القضية بحيث لا يقع عليه غبار فانه والله ما يحمل عود
ريحان فاعجبه ذلك ولم يزل يتلطف عند سلار والجاشنكير الى ان خمدت
قضيته وسكنت ومن شعر التقى بن دقيق العيد

قالوا فلانا عالم فاضل ۔ فاكرموه مثل ما يرتضى
فقلت لما لم يكن ذا تقى ۔ تعارض المانع والمقتضى

اشار الى القاعدة الاصولية اذا تعارض المانع والمقتضى يقدم المانع وله ايضا
فى ذكر الاختلاف بين الاصحاب

لم ليلة فيك وصلنا السرى ۔ لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذى ۔ يزيل من شكواهم او يريح
فقيل تعريسهم ساعة ۔ وقيل بل ذكرك وهو الصحيح

وللصدر ابن الوكيل

ما الكاس عندى باطراف الانامل بل ۔ بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب
شججت بالماء منها الراس موضحة ۔ فحين اعقلها بالخمس لا عجب

وله ايضا

لم يصلب الراووق الا عندما ۔ قطع الطريق على الهموم وعاقها

وله ايضا

وزوجت بنت الكرم بابن غمامة ۔ فصح على التعليق والشرط املك

وله ايضا

ارقت دم الراووق حلا لانني — رايت صليبا فوقه وهو مشرك

على في ظل ظرفان متعلقان بمه وتقدم تعريف الظل وما اضيف اليه من نعيم وفعله نعم كما تقدم وغنى ضد الفقر وهو مقصور واما الغناء الممدود فالمسموع من الاصوات الحسنة وقد نظم ابن دريد ما ورد من المقصور والممدود في قصيدة وهي هذه

لا تركنن الى الهوى — واحذر مفارقة الهواء
يوما تصير الى الثرى — فيفوز غيرك بالثراء
كم من حقير في رجا — بين لمنقطع الرجاء
غطى عليه بالصفا — اهل المودة بالصفاء
ذهب الثنا عن اهله — ابن الغنى من الثناء
زال السنا عن ناظر — يه وزال عن شرف السناء
ما زال يلتمس الخلا — حتى توحد بالخلاء
قطع النسا من الزمان — ولم يمتع بالنساء
وارى العطا في العين اكثر ما يكون من العطاء
وارى الحوا يزكي عقو — ل ذوي التفكر في الخواء
ولرب ممنوع العرا — ولسوف ينبذ بالعراء
من خاف من الم الجفا — فليجتنب مشي الجفاء
كم من توالى بالنقا — بعد النظافة والنقاء
واخو الغزا من لا يزا — ل بما يضر اخا غزاء
ان الحياة مع الحيا — وارى الهناء مع الحياء
عقل الكبير من الورى — في الصالحات من الوراء

لو

لو تعلم الشاة النجا — منها لجدت بالنجاء
وارى الدوا طول السقا — م فلا تفرط في الدواء
واذا سمعت وحي الزما — ن فلا تقصر في الوحاء
فلربما ساق السفا — الى السفا اهل السفاء
يا ابن البرا ان السر — ية يودنونك بالبراء
واراك قدما ل الغما — ما بين عينك والغماء
فانظر لعينك في الجلا — ان خفت من يوم الجلاء
وكل الغنا ان لم تجد — خلا فانك للفناء
ولربما اوى الفضا — منزوديه الى الفضاء
فاهرب فديت من الزكا — ان كنت من اهل الذكاء
فالمرء اشبه بالعفا — ان لم تفكر في العفاء
سيضيق متسع الملا — بالمجرمين من الملاء
فارغب في الجدا — ما انت عنه ذو جداء
نوصي وعقلك في بدا — فلذاك رايك في بداء
وكانها ريح الصبا — تجري بطلاب الصباء
باعوا التيقظ بالكرى — فدروعهم بدر الكراء
وكانهم قعر الابا — او كالحطام من الاباء

باب ما يمد ويقصر من المكسور الاول والمعنى مختلف

كم من عظام باللوا — قد فارقت خفق اللواء
وارى الغنى يدعو الفتى — الى الملاهي والغناء
يمضي الانا بعد الانا — ومناه في ماء الاناء

ولربما فضح الرجال   ذوي النهى كشف الغطاء

ولربما صاد العدا   ذو السبق من صيد العداء

ولربما هجر النسا   بعد التانق في البناء

ويستوي اهل الكبا   وذوي التفطن والكباء

ولربما ذي روى   يحتاج فيه الى الرواء

في التفاتو

باب ما يكسر اوله فيقصر ويفتح فيمد والمعنى واحد

واري البلى يبلي الحديد   وكل شئ للبلاء

واري القرى ما لا يدوم   مع الزمان لذي قراء

كم من اني تغني الليالي   تغني بالاناء

وسوى الفتى يرك الفتى   ولننزعن من السواء

حب الفساد الى قلى   واري الصلاح الى قلاء

      واني للمحلاة بالرواء

كم من انا شمس رايت   ولا ارى مثل الاناء

باب ما يفتح اوله فيقصر ويكسر فيمد

وسكنت بنا ذا عمى   وتخرجن من العماء

فانظر لنفسك في عدا   لا يستقيم بلا عداء

فاحذر صلى نار الجحيم   فانها شر الصلاء

فجر الشباب يزول عنك   وقل لما معنى الجزاء

واري الغذا لا يستطاع   فمن لنفسك بالغذاء

كم قد وردت على اضا   وصدرت عن ذاك الاضاء

واراك تنظر في السخا   لاخير في نظر السخاء

باب

باب ما يضم اوله فيقصر ويفتح فيمد

شمس الضحى طلعت عليك   ولا ترى شمس الضحاء

باب ما يضم اوله فيقصر ويكسر فيمد

تهوى لقا ما لا يحل   ولعده يوم اللقاء

باب ما يكسر اوله فيقصر ويفتح فيمد

ولربما تطلب روى   في منظر حسن الرواء

وقوله ولاعبتني غادة وهنانة تغنى وفي ترشافها برء الضنا

من قبيل التشبيب ومدح الناظم به وبما بعده وقبله في القصيدة بين الحماسة والمدح والغزل وفيه من البديع التلميح لقوله صلى الله عليه وسلم هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك يا جابر والطباق بين الضنا والبرء والملاعبة بين الزوجين مستحبة اخرج مالك عن عبد الله بن دينار قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الليل فسمع امراة تقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه   وارقني ان لا خليل الاعبه

فوالله لولا الله اني اراقبه   لحرك من هذا السرير جوانبه

فسال عمر رضي الله عنه ابنته حفصة كم اكثر ما تصبر المراة عن زوجها فقالت ستة اشهر واربعة فقال عمر لا احبس احدا من الجيوش اكثر من ذلك واخرج ابن اسحاق وابن ابي الدنيا في كتاب الاشراف عن السائب بن جبير مولى ابن عباس رضي الله عنهم وكان قد ادرك اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زلت اسمع حديث عمر خرج ذات ليلة يطوف وكان يفعل ذلك كثيرا اذ مر بامراة من العرب مغلقة بابها تقول

تطاول هذا الليل تسري كواكبه   وارقني ان لا ضجيع الاعبه

وبت الى عنبر بدع ملقن ، لطيف الحشا لا يجتويه مصاحبه
يلاعبني طورا وطورا كأنما ، بعا تبني في حبه واعا تبه
ولكنني اخشى رقيبا موكلا ، بانفسنا لا يفتر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعدا وقالت لهان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وغيب زوجي عني وقلة نفقتي فقال عمر يرحمك الله فلما اصبح بعث اليها بنفقة وكسوة وكتب الى عامله يسرح اليها زوجها واخرج ابن ابي الدنيا عن الحسن قال سأل عمر بن الخطاب ابنته حفصة كم تصبر المراة عن الرجل فقالت ستة اشهر فقال لاجرم لا احبس رجلا اكثر من ستة اشهر ومما يقرب من هذه الحكاية ما اخرجه الزبير بن بكار عن محمد بن معن قال اتت امراة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت يا امير المومنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره ان اشكوه اليك وهو يقوم بطاعة الله تعالى فقال لها جزاك الله خيرا من مثنية على زوجها فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر الجواب عليها وكان كعب بن سوار الاسدي حاضرا فقال له اقض يا امير المومنين بينها وبين زوجها فقال وهل فيما ذكرت قضا فقال انما تشكو مباعدة زوجها عن فراشها وتطلب حقها في ذلك فقال عمر اما ان فهمت ذلك فاقض بينهما فقال كعب علي بزوجها فاحضر وقال له ان امراتك تشكوك فقال اقصرت في شي من نفقتها قال لا فقالت المراة

يا ايها القاضي الحكيم مرشده ، الهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقده ، فلست في حكم النسا احمده
زهده في مضجعي تعبده ، فاقض القضا يا كعب لا تردده

فقال زوجها

زهدني

زهدني في فرشها وفي الحجل ، اني امرؤ ارهبني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول ، وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب

وان خير القاضيين من عدل ، وقد قضا بالحق جهرا وفصل
ان لها حقا عليك يا رجل ، نصيبها في اربع لمن عقل
عطية من ربها عز وجل ، فاعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله قد اباح لك من النساء اربعا فلك ثلاثة ايام بلياليهن تعبد فيها ربك ولها عليك يوم وليلة فقال عمر والله ما ادري عن اي امريك اعجب أمن فهمك امرها ام من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك قضا البصرة انتهى ويقرب من ذلك ما اخرجه البيهقي في الدلايل عن ابن عمر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ومعه عمر بن الخطاب فعرضت امراة وقالت يا رسول الله اني امراة مسلمة محرمة ومعي زوج لي في بيتي مثل المراة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك فدعته وكان خرازا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تقول امراتك يا عبد الله فقال الرجل والذي اكرمك ما جف راسي منها فقالت امراته ما مرة واحدة في الشهر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اتبغضينه قالت نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ادنيا رؤسكما فوضع جبهتها على جبهة زوجها ثم قال اللهم الف بينهما وحبب احدهما الى صاحبه ثم مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق النمط ومعه عمر ابن الخطاب فطلعت المراة تحمل ادما على راسها فلما رات النبي صلى الله عليه وسلم طرحته واقبلت فقبلت رجليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انت وزوجك فقالت والذي اكرمك ما طارف ولا تالد احب الي منه فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم أشهد انى رسول الله فقال عمر وانا اشهد انك رسول الله انتهى
وان اشا لاعبني والملاعبة المداعبة واحسن ما استعيرت فيه قول ابن سنا
الملك الا فارضى هذا الشعر عنا فاننا تخاف عليه من مداعبة الجحل
وهى ضرب من المهازلة الواردة بها السنة فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن قال قالت
عايشة رضى الله عنها كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت
حريرا وجئت به فقلت لسودة كلى فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن
وجهك فقالت ما انا بذايقته فاخذت من الصحن فلطخت به وجهها ورسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فتناولت من الصحفة شيا ولطخت به وجهى
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وورد عنه انه صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه وقد اكلوا حيحيا تباذخوا بقشور الحيحب فكان صلى الله عليه وسلم
يمزح ولا يقول الا حقا ولقد جاته امراة فقالت يا رسول الله احملنى على جمل
فقال احملك على ولد الناقة قالت لا يطيقنى فقال لا احملك الا على ولد
الناقة قالت لا يطيقنى فقال لها الناس وهل الجمل الا ولد الناقة وجاته
امراة وقالت يا رسول الله ان زوجى مرض وهو يدعوك فقال بعلك الذى
فى عينيه بياض فرجعت وفتحت عينى زوجها فقال لها مالك فقالت اخبرنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى عينيك بياض فقال وهل احد الا وفى
عينيه بياض وقالت له امراة اخرى يا رسول الله ادع الله ان يدخلنى الجنة
فقال يا ام فلان ان الجنة لا تدخلها عجوز فولت المراة وهى تبكى فقال صلى
الله عليه وسلم اخبروها انها لا تدخل وهى عجوز ان الله تعالى قال انا انشاناهن
انشا الاية غادة وهى الناعمة المحمودة وهذا وصف للمراة ومن اوصافها الخود
وهى الحسنة الخلق والخدلجة وهى الممتلئة الذراعين والساقين والهركولة العظيمة

الوركين والرداح الثقيلة العجز والبضة الرقيقة الجلد والرعبوبة البيضا
الناعمة ومثلها الرود والهيفا الضامرة البطن والاملود الناعمة ومثلها
الطفلة بفتح الطا والبرهرهة ايضا والعطبولة الطويلة العنق وقد
تحذف منها الها ومثلها الهيطاء والممشوقة والممشوقه والغيد المتثنية
من اللين والنهناهة الطيبة الريح والخفرة الحيية ومثلها الخريدة والنوار
النفور من الريبة والعروب المتحببة الى زوجها واما الغانية وهى فى الاصل
ذات الزوج صارت تستعمل صفة مدح وهنانة وهى التى فيها فتور عند
القيام تغنى بضم اوله وبالضاد المعجمة تسقم وفى ترشافها بفتح اوله كساير
المصادر التى على هذا الوزن ماعدا مصدرين هما تبيان وتلقا وهو مص الشفتين
بره شفا ذلك الفنا وهذا بالخاصية وهو اغزل واشعر ومن كلامهم ان الطبيب
اذا عجز عن التعليل قال هذا بالخاصية والفقيه اذا عجز عن الاستدلال قال
هذا تعبد والنحوى اذا عجز عن التعليل قال هكذا اسمع واما تشبيه الريق
بالعسل وهو شفا كما قال الله تعالى يخرج من بطونها شراب الاية خلافا لمجاهد
حيث جعل الضمير عايدا على القرآن لان الاصل عود الضمير على اقرب مذكور
ولقول ابن مسعود ان العسل شفا من كل داء والقران شفا لما فى الصدور
وعن ابى سعيد الخدرى انه جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى
يشكو بطنه فقال اذهب واسقه عسلا قال سقيته فلم يغن قال صدق
الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرا فكانما فك من عقال وروى عن ابن
عمر انه كان لا يشكو شيا الا تداوى بالعسل حتى انه يدهن به القرحة ويقرا
فيه شفا للناس وقال الحافظ علاء الدين مغلطاى جاء رجل الى الشهاب الحنبلى
صاحب التعبير فقال له رايت فى منامى كان قايلا يقول اشرب شراب الهكارى

فقال له ابو جعفر فوادك فقال نعم قال اذهب واشرب عسلا فانك تبرا فقيل
من اين لك هذا قال لاني تفكرت فلم اعرف شرابا منسوبا الى الهكارى فرجعت
الى الحروف فوجدت شراب الهك ارى والارى العسل حكى ان بعض الجهال
كان في مجلس المنصور ابي جعفر وقال المراد بالآية المذكورة اهل البيت
وبنو هاشم فانهم النحل والشراب القرآن والحكمة فقال له بعض الحاضرين جعل
الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطونهم فاضحك المجلس ولله در ابن
مطروح حيث يقول

فيها اثر المسك في راحتي ... وهذا في فيه طعم العسل

فان قلت لم لم تذكر التشبيه بالخمر مع ان الشعراء اكثروا منه قلت انما تركت
ذلك مراعاة للنظم المشتمل على ترتيب البوس على الرشف فان مذهبنا عدم جواز
التداوي بالخمر تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء امتي فيما
حرم عليها وما رخص عندنا الا في حالة واحدة وهي اذا ما غص انسان معصوم
محترم بلقمة ولم يجد ما يسوغها فله ذلك بقدر الحاجة فقط ولا فرق في
ذلك بين عصير العنب وغيره من المسكرات عند الشافعي رحمه الله والناظم
مقلد له كما سبق فان قلت ما ذكرته مسلم في الخمرة الحقيقية واما الريق فما
وجه تحريمه قلت حرمته تشبيهه بها ولذا نظاير منصوص عليها منها ما لو
ادير القهوة على صفة الخمر وقيل عند تقديمها ما يقال عند تقديم ذلك من
الالفاظ المتداولة عند اربابها ولقد اساء من قال ~~لعمري ما شربت~~

لعمري ما شربت الراح جهلا ... ولكن بالادلة والفتاوى
فاني قد مرضت بداء همي ... فاشربها حلالا للتداوي

فان قلت قال الله يسئلونك عن الخمر والميسر الاية وهذا يدل على حصول

الشفاء

الشفاء بها قلت الحديث السابق ناسخ للمنفعة ونسخ الكتاب بالسنة وارد كما هو
مقرر عند الاصوليين فان قلت هب ان الحكم الشرعي ذلك فاين انت من
المبالغة الشعرية قلت قد تقدم لك ان الناظم وان كان اشعر الفقهاء فهو
افقه الشعراء فان قلت قد قال ابن شاهين كنا ندخل على ابن دريد فنستحيي
لما نرى من العيدان المعلقة والشراب المصفى وقال الازهري الفيته على كبر
سنه سكران لا يكاد يفتر عن ذلك وقال الخطيب جاء اليه سائل فلم يكن عنده
غير دن نبيذ فاعطاه له فانكر عليه غلامه فقال لم يكن عندنا غيره
وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فما تم اليوم حتى اهدى
له عشرون دنا فقال تصدقنا بواحد واخذنا عشرة قلت قد تاب عن
ذلك كما يشهد به آخر المقصورة وكما تقدم في قصة ابي الفوارس والتوبة
تجب ما قبلها فان قلت سيأتي قريبا قوله كانما الصهباء الى الخ البيت الثاني
وهو مناف لما ذكرته قلت سيأتي لك حل ذلك على وجه لا يتأتى معه هذا
السؤال والمبالغون من الشعراء ينزهون المحبوب عن رشف رضابه واول من
فتح هذا الباب النابغة الذبياني في وصف المتجردة امرأة النعمان بقوله

تجلو بقادمتي حمامة ايكة ... بردا اسف لثاته بالاثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه ... جفت اعاليه واسفله ندي
زعم الهمام ولم اذقه انه ... يشفى برياريقها العطش الصدي

وقال غيره

وعدني من معاطفها حديث ... يخبر ان ريقتها مدام
وفي الحاظها السكرى دليل ... وما ذقنا ولا زعم الهمام

وقال امرؤ القيس

وثغر لها طيب واضح … لذيذ المقبل والمبسم
وما ذقته غير ظني به … وبالظن يقضي على ما كتم

وقال بشار بن برد

يا اطيب الناس ريقا غير مختبر … الا شهادة اطراف المساويك
قد زرتنا زورة في الدهر واحدة … فاثني ولا تجعلها بيضة الديك

وقال نصيب

كأن على انيابها الخمر شجها … بماء الندى من اخر الليل عابق
وما ذقته الا بعيني تفرسا … كما شيم في اعلا السحائب بارق

ولابن الساعاتي

وبي زاير يكبو المنادون وصله … وبعثر جاري الدمع في ليل صده
يخبر عن لثم السلاف لثامه … وتشهد اطراف الاراك بشهده

وبالغ البهاء زهير في قوله

فتنت به حلوا مليحا فحدثوا … يا عجب شي كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه … ولم ار عدلا وهو سكران يطفح

وابلغ منه في العفة قول بعضهم

يا بلي اللحظ في كل عضو … لي من قوس حاجبيه سهام

لعله اللحاظ

حرموا ريقه علي ولكن … صدق الشرع ما تحل المدام

وابلغ منه قول ابن الساعاتي

حدثت جفنيها على رشف ريقها … ومن شرب الصهباء يلزم بالحد
فيا قلب صبرا عن شهي رضابها … فان وجي السم في ذلك الشهد

وما احلى قول الصفدي

يا آمري

يا آمري بالصبر عمن شفني … سقما وفي فيه شفاء عليلي
من يستطيع الصبر او يرضى به … عن مثل ذاك المرشف المعسول

وقوله ايضا

يا قلب ان زاد الظما … الى مراشفه الشهيه
اني لاعرف منهلا … يشفي الجوى خلف الثنيه

وباستطراد ذكر الخمرة ذكرت بيتين لابن حمديس في تشبيهها بالاكسير الذي يصنع به الكيميا قال

ومغرب طعنته غير خائبة … اسنة هي ان حققتها شهب
ومشرق كيمياء الشمس في يده … ففضة الماء من القابها ذهب

واخذه الصدر بن الوكيل في قوله

وليس الكيميا في غيرها وجدت … وكلما قيل في ابوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن … يعيد ذلك افراحا وينقلب

وقوله تفري بسيف لحظها ان نظرت نظرة غضبا منك اثنا الحشا ليس في كثير من الروايات ومعناه مطروق للشعرا قال ابو الطيب المتنبي

مثلت عينك في حشاي جراحة … فتشابها كلتاهما نجلاء

وقال الشهاب الفزاري

ان لم امت في هوى الاجفان والمقل … فوا حيائي من العشاق واخجلي
ما طيب الموت في عشق الملاح كذا … لاسيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبي اذا ما مت بينكما … دون الشهيين ورد الخد والقبل
فاستغفرا لي وقولا عاشق غزل … قضى صريع القد الهيف والمقل
راش الفتور له سهم فاخطاه … حتى اتيح له سهم من الكحل

وللعيون اللواتي هنّ من أسد   الى القلوب سهام هنّ من ثعل

وللقاضي الأرجاني

يا غلاما اضحى دليل وجود الـ   خصر منه وجود عقد القباء
كلما شدّ طعنةً في فوآدي   قال خذها نجلاء من خوصاء

واطلاق السيف على اللحظ مجاز مشهور قال ابن التعاويذي

بين السيوف وعينيه مشاركة   من اجلها قيل للاغماد اجفان

والعيون تارة توصف بكونها نجلاء كما سبق وتارة تمدح بالضيق قال الصفي الحلي

لم تترك الاتراك بعد جمالها   حسنا لمخلوق سواها يخلق
جذبوا القسي الى قسي حواجب   من تحتها نبل اللواحظ رشّق
نشروا الشعور فكل قدّ منهم   لدن عليه من الذوائب صنجق
لي منهم رشاء اذا قابلته   كادت لواحظه بسحري تنطق
ان شاء يلقاني بخلق واسع   عند اللقاء نهاه طرف ضيّق

وقال الشهاب الشاغوري

تناسي صحبتي وذمام عهدي   وعند الترك ماترعى الذمام
بضيق عيونه وسعت عذري   فزال العذل عني والملام

وللجمال بن نباته

وخاطر عبث الأشواق يجبه   جاذر الترك لازى الاعاريب
من كل اغيد ضاقت عينه فتى   يجود لي من تلاقيه بمطلوب

ولعلاء الدين الجويني

ابادية الأعراب عني فانني   بحاضرة الاتراك نيطت علائقي

واهلك

٦

واهلك يا بخل العيون فانني   فتنت بهذا الناظر المتضايق

تغزى تقدم معناه بسيف اللحظ الاضافة بيانية ان نظرت نظره غضبا لا فائدة فيه بل هو مخل بالمعنى منك ظرف متعلق بتغزى انا الحشا تقدم الكلام عليه في اول القصيدة وقوله في خدها روض من الورد على النسرين بالالحاظ منه يجتني ليس في اكثر الروايات ايضا ومعنا ٥ متداول بين الأدبا قال بعضهم

ظبي من الاتراك في خده   ورد بغير اللحظ لم يقطف

ولا يزالون يشبهون الخد بالروضة وبالجنة والوجنة بالورد الى غير ذلك من التخيلات الشعرية قال المجد الاربلي

غصن المهفهف كامن في نفحه   فأطل وقوفك بالغوير وسفحه
ولي الذي بجفنيه فاتر لحظه   عن سيفه وقوامه عن رمحه
ظبي يونس بالغرام نفاره   ويجد في نهب العقول بمزحه
ذو وجنة شرقت بماء نعيمها   فالورد اشرقه نداه برشحه
وكأنّ طرته وضوء جبينه   ليل تألق فيه بارق صبحه
يا شاهرا من جفنه عضبا غدا   ماء المنية ثاويا في صفحه
قلبي وطرفي ذا يسيل دما وذا   دون الورى انت العليم بقرحه لعله الورى
وهما بحبك شاهدان وانما   تعديل كل منهما في جرحه
والقلب منزلك القديم وان تجد   فيه سواك من الأنام فنحه

في خدها المعروف روض والمراد به ما يجري في الخد من ماء الحسن مع ما نبته من الورد وهو زهر معروف على النسرين وهو ضرب من الرياحين العطر سى بالالحاظ لا بغيرها ومن منه متعلقان بيجتني اى يقتطفان من الخد بذلك

وقوله لو ناجت الاعصم لانحط لها طوع القياد من شماريخ الذرا
ماخوذ من قول قيس بن الملوح

وادنيتني حتى اذا ما سبيتني * بقول يحل العصم سهل الاباطح

وفيه من البديع الطباق لو ناجت تقدم معناه الاعصم الذي في بدنه بياض لانحط نزل لها طوع القياد وهو الحبل الذي تقاد به الدابة ونصب طوع اما على انه مصدر محمول على معنى الفعل الذي قبله اي لانطاع طوع او على انه مصدر واقع موقع الحال طائعا من شماريخ الذرى وقد تقدم معناه وقوله
اوصابت القانت في مخلولق مستصعب المسلك وعر المرتقى الهاه
عن تسبيحه ودينه تانيسها حتى تراه قد صبا ماخوذ من قول النابغة

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة المتعبد
لدنا لرويتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد
يتكلم لو يستطيع كلامه * لونت له اروى الهضاب الصخد

وهذا مما اتفق عليه النابغة وربيع بن مقروم الضبي حيث قال مع اختلاف القافية

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة متبتل
لدنا لبهجتها وحسن حديثها * ولهم من ناموسه بتنزل

ومثل ذلك كثير الوقوع للشعرا فمن ذلك قول الاقيشر

جريت مع الصبا طلق العنيق * وهان علي ماثور الفسوق
وجدت الذعارية اللبالى * قران النغم بالوتر النسوق
وسمعة متى ما شئت غنت * متى نزل الاجنة بالعقيق
تمتع من شباب ليس يبقى * وهل يجرى الصبوح عرى الغبوق

وقال

وقال بعده ابو نواس

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان علي ماثور القبيح
وجدت الذ عارية الليالي * قران النغم بالوتر الفصيح
ومسمعة متى ما شئت غنت * متى كان الخيام بذي طلوح
تمتع من شباب ليس يبقى * وهل يجرى الغبوق عرى الصبوح

وقول امرء القيس

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك اسا وتحمل

وقال بعده طرفة بن العبد

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك اسا وتجلد

وقول امرء القيس ايضا

الا ايها الليل الطويل الا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بامثل

وقال بعده الطرماح

الا ايها الليل الطويل الا اصبح * بيوم وما الاصباح منك باروح

وقول ابي الفضل الميكالي

اقول لشادن في الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الجليد
ملكت الحسن اجمع في قوام * فلا تمنع وجوبا عن وجود
وذلك ان تجود لمستهام * برشف من مقبلك البرود
فقال ابو حنيفة لي امام * وعندي لا زكاة على الوليد

وقال ابو منصور البغدادي

طلبت من الحبيب زكاة حسن * على صغر من القد البهي
فقال وهل على مثلي زكاة * على قول العراقي الكمي

اقول لشادن في الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الكمي * ملكت الحسن اجمع في نصاب
فاد زكاة منظرك البهي * وذلك ان تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي
فقال ابو حنيفة لي امام * وعندي لا زكاة على الصبي * وقال بعده غيره صح

فقلت الشافعي لنا امام ۔ وقد فرض الزكاة على الصبي
فقال انعم اذهب وخذها ۔ بقول الشافعي من الولي
فقلت له قد نبك من فقيه ۔ أيطلب بالزكاة سوى المليّ
نصاب الحسن عندك وامتناع ۔ بلحظك والقوام السمهري
فان اعطيتنا طوعا والّا ۔ اخذناها بقول الشافعي

او مايب وافقت القانت المطيع ومنه قوله تعالى وقوموا لله قانتين والقنوت الدعاء المعروف في الاعتدال وهو طاعة ثابتة بالسنة في محل مخلوق املس كالصخرة الصما مستصعب صعب المسلك ما سلكت منه اليه وعر ضد السهل اي صعب المرتقى المصعد له اي من اللهو اشغله عن تسبيحه قول سبحان الله وعن دينه ما يدان به اي يطاع والدين وضع الهي سايق لذوي العقول باختيارهم المحمود الى ما هو خير لهم بالذات والفرق بينه وبين الملة بالحيثيات وهل هو مرادف للاسلام او مغاير له وهل يقبلان الزيادة والنقصان ام لا خلاف بيناه في عيون المسائل واوضحنا المرجح فيه من ذلك ثانيها انها بالمحادثة حتى الى الان نراه قد صبا فعل افعال الصبيان بالخروج عن تلك الحالة ومنه قولهم صبا عمر لما اسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخرج عما كان عليه من الشرك كما هو مفصل في محله ولا يخفى ما في البيت من المبالغة ومن ثم قيل عالم واحد اشد على الشيطان من الف عابد وعلى ذلك حكاية مشهورة وهي ان قائل ذلك لما انكر عليه ما قاله قصد عابدا يتهجد وطرق عليه الباب وقال له انا جبريل هبطت اليك هذه الساعة فقطع العابد صلاته باجابته والوصول لملاقاته فذهب عنه قبل ان يجتمع به وفعل ذلك مع جماعة من العباد ثم قصد عالما فعل ذلك فلم يجبه حتى

اكمل

وسلم فلم يحتمل طبعه الكريم ذلك الطعم وما الطف قول الصدر بن الوكيل

وان اقطب وجهي حين تبسم لي ۔ فعند بسط الموالي يحفظ الادب

اراد ابتسامها بالحباب كما قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

سلفتنا على العقول السلافه ۔ فتقاضت ديونها بلطافه
ضيفتنا بالبشر والنشر والتبسم أهكذا تكون الضيافه

ولقد احسن ابن رشيق في قوله

احب اخي وان اعرضت عنه ۔ وقل على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطيب راض ۔ كما قطبت في وجه المدام
ورب مقطب من غير بغض ۔ وبغض كامن تحت ابتسام

وما احلى قول شمس الدين بن ابي الحديد

لا تلقها الا ببشرك فالقطوب من الدنس
ما انصف الكاسات من ضحكت لديه وقد عبس

وفي معناه قول شرف الدين بن موسى القدسي

اليوم يوم سرور لا شرور به ۔ فزوج ابن سحاب بابنة العنب
ما انصف الكاس من ابدى القطوب لها ۔ وثغرها باسم من لؤلؤ الحبب

وقال محيي الدين بن قرناص

قد قلت اذ اضحى يعبس كلما ۔ دارت عليه من المدام الاكوس
تالله ما انصفتها يا مالكي ۔ تاتيك باسمة وانت تعبس

ولطف ابن قلاقس في قوله

وظلت الكاس اغنى الناس كلهم ۔ فالخمر من عسجد والماء من ورق

وقريب منه قول النصير الحمامي

اصبحت من أهنى الورى … متبشرا بالفرح
عندى خمر ذهبت … الكتاله بالقدح

ولحواتم الافراح وشقيقة البسط والانشراح كما قال القاضى الفاضل

لها متن تصفو على الشرب اربع … وواحدة لولا سماحتها تكفى
سرور الى قلب وتبر الى يد … ونور الى عين وعطف الى انف
ولما رانيا باسمين حبابها … مددنا يمين القطف قبل يد الرشف

وكما قال البحترى بن الحارث اليشكرى

ان كنت عاذلتى فسيرى … نحو العراق ولا تجورى
لا تسألى عن جل ما … لى وانظرى كرمى وخيرى
واذا الرياح تناوحت … بجوانب البيت الكسير
الفيتنى هش اليدين … بمرى قدحى او شجيرى
وفوارس كأوار حر … النار احلاس الذكور
شدوا دوابر بيضهم … فى كل محكمة القتير
واستلاموا وتلببوا … ان التلبب للمغير
وعلى الجياد المضمرا … ت فوارس مثل الصقور
اقررت عينك من اوليك والكواعب بالعبير
يرفلن فى المسك الزكى وصايك كرم النحير
يعكفن مثل اساود التنوم لم يعكف بزور
ولقد دخلت على الفتا … ة الخدر فى اليوم المطير
الكاعب الحسناء ترفل … فى الدمقس وفى الحرير
فدفعتها فتدافعت … مشى القطاة الى الغدير

ولثمتها

ولثمتها فتنفست … كتنفس الظبى الغرير
وعطفتها فتعطفت … كتعطف الظبى البهير
فدنت وقالت يا منخل هل بجسمك من حرور
ما شف جسمك غير حبك فاهدئى عنى وسيرى
واحبها وتحبنى … ويحب ناقتها بعيرى
ولقد شربت من المدا … مة بالصغير وبالكبير
يا رب يوم للمنخل قد لهى فيه قصير
فاذا انتشيت فاننى … رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فاننى … رب الشويهة والبعير
يا هند من لمتيم … يا هند للعانى الاسير

وما رايت من تلاعب بالخمرة وبذكرها كالاديب الشمس احمد بن يوسف الطيبى فى قصيدته وهى هذه

برزت فى الكؤس كالابريز … فاعادت مسرتى بالبروز
قهوة فارسية من خبايا … ازدسيرا لنحلة ابرويز
بنت كرم من عصر نعمان زفت … لابن ماء السماء غير نشوز
اقسمت لا تحل فى الصدر الا … يوذن الهم منه بالتبريز
ابرزوها بصبية يا نا عشاء … فاضاء الصباح فى تموز
وجلاها زجاجها فارانا … جامد الماء ذايب الابريز
ينشر الميت نشرها لو بها … نشروا رمس ميت مركوز
هى بكر يفتضها الهرم الكلى … لكل فيمشى بها بلا تعكيز
وهى فى حلية السرور كميت … تكتسى بالحباب حلة بوز

في ضلوعي أزيز وجدي وخمري   هي خمري بها دوا ازيزي
أرقني انني اصبت بعين   بالحميا لا بالرقى والحروز
لم سمعي بالعود ان دماغي   مل طول استماع درس الوجيز
وأدها بكرا عجوزا فعجز   تركا في الشروع للتعجيز
ليس كل الزمان للفقه لكن   بعضه للنشو والارجوز
مائنائي المدام عن طلب العلم   وعن كشف سره المهموز المرموز
لا ولا صد في الشراب عن النحو وبحث الممدود والمهموز

الى ان قال

واشرب الراح وابذل الروح فيها   واغنم العيش في اوان الهنوز
خل تمريزها وعب لتروى   ليس يشفي الاوام بالتمريز
انا لا ارتوي بكاس وطاس   اسقنيها بالزق والقطرميز
اسقنيها قديمة العهد كانت   قبل كون التكييف والتحييز
اسقنيها حتى ارى كل عضو   بدبيب السلاف كالماخوز
اسقنيها فقد وعدنا بها في جنة الخلد في الكتاب العزيز
اسقنيها ولا تعد في بحثو   ليس هطل الغذاء كالتنجيز
اسقنيها كيف اشتهت ودعني   من حديث التحريم والتجويز
اسقنيها ففي الغواية فيها   قصد اهل الرشاد والتمييز
اسقنيها نيا حراما ومطبو   خا حلالا تجلى بكوب وكوز
اسقنيها صرفا ومزجا لتروى   عقلي المستفاد ثم الغريزي
اسقنيها حتى اموت بسكري   وادع جمع القيان في تجهيزي
اسقنيها في شهر آذار حتى   يصل السكر بي الى تموز

اسقنيها

اسقنيها فقد جلس الزهر في النهر بنصب الخيام والدهليز
اسقنيها والارض تجلى عروسا   تنجلي في ملونات الخزوز
اسقنيها وقل دمشق ولا تنسى   القطيف في اصبهان او هرموز
اسقنيها مع الصبايا فاني   انا شيخ الغرام وهي عجوزي
اسقنيها مع غانيات اذا مشين يهيم الفؤاد بالتقفيز
اسقنيها مع فتنة حين تبدو   يهتز الغصن في النقا المدروز
اسقنيها مع كل كحلاء زانت   مقلتيها حلاوة اللوزينز
اسقنيها مع اهيف كقضيب   يتثنى بقده المهزوز
اسقنيها مع طلعة كهلال   فوق رمح على النقا مركوز
اسقنيها على فتور جفون   فاتراف التغنيج والتغميز
اسقنيها على بياض جبين   غير خاف السنا ولا محجوز
اسقنيها على سواد عذار   ابدع الحسن فيه بالتطريز
اسقنيها مع الندامى اولي الفضل   واهل التكريم والتعزيز
اسقنيها حتى يرى ارزن القو   م وقارا كالطائر المنقوز
اسقنيها واوقني لا اُبالي   أُبصاع اكتال ام بقفيز
اسقنيها وخذ ثيابي ودعني   في ثياب المهموم والمهموز
اسقنيها فما الغني غير سكر   ينقذ المرء من يد التعويز
اسقنيها لا تختر زمن امور   قدرت لا تزول بالتجويز
اسقنيها فانني   لا امامي في ظل حرز حريز
صفو خير الورى امام علاه   غير مستكثر ولا محفوز
هو اقوى وسائلي في معادي   وهو اسنى ذخائري وكنوزي

كانما الصهبا الخمر وسميت بذلك لحمرة لونها اذ الاصهب من اقسام الاحمر مقطوب ممزوج بها ماجنا بفتح الجيم ما يجتنى من تمر او ورد او غيرهما اذا طرف الليل غسا بالغين المعجمة والسين المهملة اظلم ومضارعه يغسى ويغسو ويقال اغسى يغسى اى اذا اظلم الليل شبهت ريقها بالخمر الممزوجة بما الورد فيه من البيان التشبيه ومعنى يمتاحه يغترفه وهو من المتح بمعنى الاستقا والماتح بالتا المثناة الفوقية المستقى على اعلا البير والمائح بالمثناة التحتية من يكون اسفلها وتشبيه الثغر بمنبع الما مكنية واثبات الصهبا له تخييلية والاصتياح ترشيح اى يرشفه راشف فتناول يبرد بارد ريقها باطراف شفتيه اكان بين بياض الظلم بفتح المثالثة وسكون اللام بياض الاسنان منها حتى كانها من شدة البياض يعلوها سواد وقيل هو ما الاسنان واللما بفتح اللام سمرة فى الشفتين واللماة يقال للرجل المى وللمراة لميا وفيه من البديع التدبيج وينبغى ان يعلم ان بعض الالفاظ نقلت عن معانيها الحقيقية الى معان تخيلها الشعراء واستعملوا تلك الالفاظ فيها حتى صارت عندهم حقيقة عرفية لكثرة دورانها فى كلامهم فمن ذلك الصهبا يعنون بها الريق كما قال ابو اسحاق الصابى

بابى مبسم اذا لاح اهدى … بردًا ينقع الجوانح بردا
شهد اللمس صادقا وهو عدل … ان فى ثغرها رحيقا وشهدا

وقال المتوكل الليثى

كان مدامة سهبا صرفا … ترقرق بين راووق ودن
تعل بها الثنايا من سليمى … فراسة مقلتى وصحيح ظنى

وقال ابن الساعاتى

قبلتها ورشفت خمرة ريقها … فوجدت نار صبابتى فى كوثر
ودخلت جنة وجهها فاباحنى … رضوانها المرجو شرب المسكر

ومن ذلك الغصن والكثيب والاقاح والنرجس والآس والدر والعناب الى غير ذلك يطلقونه ويريدون به القوام والردف والثغر والعيون والعذار والدمع والبنان المخضوبة قال الجلال بن الصفار

ما برحت يوم وداعى لها … تفتنى ضمة مستأنس
حتى تثنى الغصن فوق النقا … وانتثر الطل على النرجس

وقال ابن اسرائيل

واسمر عسجدى اللون يحكى … معاطف قده السمر العوالى
يدير على الشقيق عذار آس … ويبسم بالعقيق عن اللآلى

وقال ابن النبيه

رضابك راحى آس خديك ريحانى … شقيقى جنا خديك جيدك سوسانى

وقال غيره

وبين النقا والرمل تهتز بانة … لها ثمر من جلنار ورمان

وقال المطوعى

ومعشوق الشمائل قام يسعى … وفى يده رحيق كالحريق
فاسقانى عقيقا حشو در … ونقلنى بدر من عقيق

وقال الخضر

وليلة بتها من فرحتى … ومن كاسى الى فلق الصباح
اقبل اقحوانا من شقيق … واشربها عقيقا فى اقاح

وتلطف ابن المعتز بقوله

ومهفهف الحاظه وعذاره تتعاضدان على قتال الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس كانت حمائل غمده من آس

وقال ابو نواس

يا قمرا ابصرت فى مأتم يندب شجوا بين اتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب
ابرزه المأتم لى كارها برغم دايات وحجاب
يا ليت دايا موت احبابه ولم تزل رؤيته دابى

وبباح الابيات من قوله لكن لى عزما الى هنا بيان ما هو عليه من القدرة والتمكن من الرفاهة ومع ذلك فهو غير ناس لناسه وسقط راسه الجدير بان يدعى له بالسقيا ويذكر بالرعيا كما يشير اليه بقوله سقى العقيق فالحزيز فالملا الى النجيب فالقريات الدنا فالمربد الاعلى الذى تلعب به مصارع الاسد بالحاظ المها وهذا الدعا على عوائد العرب والادبا

قال طرفة بن العبد

فسقى بلادك غير مفسدها صوب الغمام وديمة تهمى

وقالت اعرابية

الم تعلمى يا دار بلجا اننى اذا اجدبت او كان خصبا جنابها
احب بلاد الله ما بين منعج الى وسلمى ان يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تميمتى واول ارض مس جلدى ترابها

وقال اخر

لا تسالانى انه ان سقا الحمى الا فسقى الله الحمى والمطاليا
واسال من لاقيت هل سقى الحمى وهل يسألن عنى الحمى كيف حاليا

وقال

وقال البحترى

واذا ما السحاب كان ركاما فسقى بالرباب دار الرباب
ولمثل الاحباب لو يعلم العا ذل عندى منازل الاحباب

وقال ابن المعتز

سقى المطيرة ذات الرند والشجر ودير عبدون هطالا من المطر
فطالما نبهتنى بالصبوح بها فى غرة الفجر والعصفور لم يطر
اصوات رهبان دير فى صلاتهم سود المدارع نعارين فى السحر
مزنرين على الاوساط قد جعلوا على الرؤس اكاليلا من الشعر
كم فيهم من مليح الوجه مكتحل بالسحر يطبق جفنيه على حور
لاحظته بالهوى حتى استقاد به طوعا واسلفنى الميعاد بالنظر
وجاءنى فى قميص الليل مستترا يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
فقمت افرش خدى فى الطريق له ذلا واسحب اذيالى على الاثر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر
وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيرا ولا تسال عن الخبر

سقى العقيق وهو موضع بالبصرة فالحزيز بالحاء المهملة وزايين فالملا ويروى فالملوا الى النجيب بالحاء المهملة فالقريات جمع قرية بالتصغير الدنا المتقاربات فالمربد الاعلا بكسر الميم وسكون الراء وفتح الموحدة بعدها اصله الموضع الذى يحبس فيه الابل وهو هنا مع ما قبله مواضع بالبصرة والفاء اصل وضعها للترتيب المتصل وهو على ضربين ترتيب فى المعنى وترتيب فى الذكر والمراد بهذا ان يكون المعطوف بها لاحقا متصلا بلا مهلة كقولك اهلته فال واقته فقام

والاول نوعان احدهما الاول عطف مفصل على مجمل وهو فى المعنى كقولك توضا
فغسل وجهه ويديه ومسح راسه ورجليه وثانيهما عطف لمجرد المشاركة فى الحكم
ومنه ما نحن فيه وقول امرء القيس بين الدخول فحومل وترد للتعقيب
كقول الشنفرى

بعينى ما امست فبانت فاصبحت ۞ فقضت امورا فاستقلت فولت

وما احسن قول الاشغردى

واغيد كم فى قده من قاضب ۞ وقوامه فى لينه كقضيب
لاقيته متبسما من بعد ما ۞ قد كنت لا القاه غير قطوب
اسقيته راحى فنام فنلته ۞ والفا فى الحالين للتعقيب

الذى تلقى به مصارع الاسد مواضع سقوطها عند الموت والاسد جمع
تكسير لاسد وهو الحيوان المفترس استعير للعاشقين استعارة مكنية
وتخييلها بالمصارع وله اسماء هى هذه الاسد اسامه الابى الازم
الابد الابعث الاجبه الاخوف الاحمر الاحول الاخثم الاخفش
الاوفر الادغم الاربد الارس الاشدق الاعطر الاعبث الاوقب
الازبر الازلم الاذهر الاسجر الاسود الاشجع الاشرخ الاشوس
الاصهب الاشوع الاصبح الاصحر الاصدح الاصهب الاصيد الاضبط
الاغم الاغنى الاغثر الاغضف الاغلب الافضح الاقدم الاقهب
الاتلف الالبس الانكب الاهرم الاطيب الاهتر الاورق الباسل
الباقر البربر البربار البسور البهنس البهور البهيس البنس
البيهس النهل الجابه الجائب العين الجاهل الجحدب بضم الدال الجحدب
بفتحها الجذع الجرابض الجراض الجرافس الجواهم الجرابض الحرفاس الجرهاس

الجرواض الجرى الحساس الجلنبط الجهصم الجهم الجواس الجيفر الحادر الحارث
الحامى خبيل براح الحطام الحطوم الجلابس الجلبس الحلبس الحلبيس
الحمارس حمزه الحنجل الحنف الحيدر حيدره حنش الوادى الخابس الخادر
خاين العين الخباس الخنبص الخنبعسه الخنبور الخنبوث الختاف الجثم
الخذر الجزاعى الحسام الخطار الخنابس الخناخر الجنوس الخبتعور
الداهى الدباحس الدرباس الدرفاس الدرناس الدرواس الدرباس
الدعفر الدنجس الدلاهس الدلخس الدلهان الدلهاثه الدلهام الدلهث
الدلهس الدعاحس الدمخس الدهمس الدهموس الدواس الدوسى
الدوسك الزامر الزمر الخنبع ذو اللبدة ذو لبده الرادى الراصد
الراهب الرابض الزوام الرزم الرصيد الرماحس الدرح الريبالى بالهمز
الرببال بالبا الزاهد الزايف الزاز الزبر الزبور الرعاف الزهدم الزور
الزرباق السارى ساعده السبنتى السبندى السارجى السائل الساعد
السبر السبطر السبع السبع السادخ السرحان السرطم السرس السلاقم
السلقم السميع السندرى السوار السيد الشابل الشاكى الشامه
الشتيم الشجم الشداقم الشموخ الشنايب الشبث الشدخ الشدح
الشهم الشيخ الشبطم الشيطى الشيرى بالامالة وهى كلمة اعجمية الصادم
الصعب الصلما الصلدم الصلقام الصلقم الصلهام الصادح الصماصم
الصمصم الصل الصموت الصمصمة الصمة الصياد الضابط الضارى
الضباق الضباط الضبارك الضبارم الضبارمة الضاضب الضبثم
الضبث الضبر الضبطر الضبوث الضبور الضيطر الضرز الضرسم
الضرضم الضرطم الضرغام الضرغامة الضرغم الضغر الضمرز الضماضم

الضبطر الضيفي الضيغم الضنيتم الضمور الضمضم الضَمضم الضمضام
العبوس العباس العارن العادي العابس الطياق الطبّار الطحطاح الطار
العرباض العوازم العذافر العديس العجنس العجوز العتمتم العتوت العترس
العرفدس العرفاس العرضم العرضام العرس العرزم العرمرم العنورام العربض
العشرب الشادم الصالق العزهم العَزهم العزاهم العزام العذاق العروه
العفرية العفرّى العِفرى العفراس العطعاط العضمره العثرم العثرب
العقور العفرس العفرين العفرنس العفرنا العفرن العفرفرة العفرني
العنابس العبيل العوص العاس العكندس العكامس العكمس العفررة
العنوث المبال المبار العباث العوف العواس العترّيس العنس العنبة
الغشمة الغشوم الغشارم الغشارب الغذف الغتوتره الغثت الغثاغث
الغضور الغضوب الغضنفر الغضب الغضافر الغوص الغشرب الغشمشم
الفرافرة الفراتق الفراس الفدوكس الفدغم الفارس الفبال الفطكش
الفضا الفرنوس الفرناس الفرفر الفرانق الفرانسي الفرفطية الفراقص ففة
القداحس القباب القانى القاطب القادح الفهد الفهم القمقمانى
القسافس القرقع القرعوس القرعوس القرضم القرضاب القرشب القرحان
ـ ـ القصاقص القعم القشم القسورة القسور القسقس القنعاس
القضاض القصل القصال القصوص القصقص القصقصة القصقاص
القفوض القضقضة القضاقص القضاقضة القضقاض القضقاض
القلوب القمقام القمرص القفصل القعنب القعانب القعاض القطرب
الليث الكهمس الكلب الكعنب الكعانب الكرية الكروس القنوطر القليب
ليث خفاف ليث العرين ليث الليوث ليث عفرين اللحم اللابد اللاث

ليث

ليث الغاب الماضي المورج المبغفي المبربر البصو المبيح المتبسل المتبلل
المتبهنس المتحير المتحرب المتدلف المتربد المترنجر المتنذر المتقبض
المعتدي المتهمر المتناذر المتهيب المجرئ المجرب المجسم المجهجهة المختصر
المجهجه المحشرج المحطم المحمى المحتجب المختدر المخنتس المداحس المدلاح
المدل المدين المزلف المرتض المرتد المرزبان المرزم المرقاش المزمر المرهوب
المردس المزدلق المزدري المزبراني المزعفر المساوي المسافع المزعم
المتانس المسوى المستلحم المسنف المساور المثب المنبل المنتم المثرثر
المصبر المصك المحصر المصدر المصطاد المصكنه المصمدم المضامض
المعبس المكنكس المضيث المضب المضبر المضرج المضرس المضم
المصفى المقهد المطهر المعذم المعتلى المعنى المقدام المعرض المعرنقش
المعرنصف المقرقر المعيد المقبل المعب المفاجئ المقبقب المقمل المتهبب
المنهس المهنبس المغهم المنيخ المهنصر المهصر المهصار المهصر المهصير
المهتهت المهزاع المهرع المونبان المهزع المهوب المهيب المودى المياس
الناج النآم الناب الناهد النجيد النجام النسور النفريد النغريت
النهات النهاش النهم النهد النهر النهوس النحف الهادي الهباد
الهبزرى الهترك المهابج الهدب الهزائم الهرثمة الهرثم هرثمة
الهلاهر الهراس الهدامس الهداس الهرماس الهرميس الهرب
الهرت الهرهار الهزاع الهزع الهزابر الهزبر الهسد الهثمه الصاهر
الصاهره الهصر الهصر الهصرة الهصور الهصوره الهصار الهيار
الهيصر الهيصور المهاهص المهصهص الهصام الهيصم الهيصة الهضوم
الهتم الهلعام الهقامة الهلقم الهماس الهوس الهاس الهوم الهمهوم

الهمهم، الهنبس، الهنبع، الهندس، الهواس، الهواسه، الهوام، الهيزب، الهيزم، الهيصل، الوثاب، الورد، والوهاس، فهذه ٩٤٩ اسما وأمّا كناه فابو الابطال، ابو الاحناس، ابو الاشبال، ابو التاموره، ابو الحارث، ابو حفص، ابو زراح، ابو الزعفران، ابو شبل، ابو الضيغم، ابو العباس، ابو العرس، ابو فراس، ابو لبيده، ابو لبيد، ابو المحارب، ابو محطم، ابو المزار، واما اسماء ولده فهي هذه الجرو، بتثليث الجيم، الحفص، الشبل، الشيع، الفرصد، الفرهود، الفرعوس، الفرعوس، القشمل، النغل، واما اسماء انثاه، فالاسدة، العرس، اللبوة، بتثليث اللام، اللباة، اللباة، اللبوة، اللبوة، اللب، اللبية، اللحاسة، الهرمة، الناهجة، الباهر، العيثمة، الفغتمة، الحصاة، المسحاب، اللعوة، السبعة، النمر، العسالقة، العسلقة، العسلقة، ام قثم، ام العباس بالحائط المذكور بقر الوحش على طريق الاستعارة المكنية المخيل لها بالعيون التي هي وجه التشبيه قال ابن الجوزي روى شيخنا عبد الكريم بن منصور قال سمعت المبارك احمد بن الاخوة يقول خرج رجل على سبيل الفرجة فقعد على الجسر فاقبلت امراة من جهة الرصافة متوجهة الى الجانب الغربي فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله علي بن الجهم فقالت المراة رحم الله ابا العلا المعري وما وقفا ومرا مشرقا ومغربا فتبعت المراة وقلت لها بالله الا ما قلت ما قال لك وما قلت له فضحكت وقالت لها فقالت اراد بابن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

واردت بالمعري قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها ... قريب ولكن دون ذلك اهوال

وقريب

وقريب من هذه الحكاية ما حكاه ابن سيد الناس قال دخل الشيخ بهاء الدين الى جامع الازهر فوجد ابا الحسين الجزار جالسا الى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابي الحسين الجزار ما اردت الا قول ابن سنا الملك فقال الجزار ما تغافلت الا بقول صاحبنا السراج الوراق ومراد الاول

أنا في مقعد صدق ... بين فؤاد وعلق

ومراد الثاني

مهذب رام الاباء ... فقاده سلس القياد
لما توسط بيننا ... جرت الامور على السداد

واشار بقوله محل كل مقرم سمت به مآثر الاباء في فرع العلا الى ان مناط الذكر والدعا لتلك الاماكن هو كونها منازل الاحباب ومواطن الاصدقا والاصحاب كما قال غيره

أمر على الديار ديار ليلى ... اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

محل ما يحله الشخص اي موضع كل مقرم بضم الميم وفتح الراء وصف للكامل في الجود والشجاعة واصله الفحل الكريم من الابل فبينه وبين المربد مناسبة سمت ارتفعت به مآثر الاباء الماضين مع مناقب نفسه فهو عريق حيث رفعته في فرع العلا اي اعلاه وللعراقة في ذلك مدخل اي مدخل فمن ثم لم تزل السلف الصالح تمتنع عن تعليم الاراذل والوضعاء ما يزيد على قدر حاجتهم في العبادة ونحوها وعلى ذلك حكاية مشهورة وهي ان امراة ذات مال وجمال كانت متزوجة بابن عمها وهي متضجرة منه وراغبة في فراقه فلم تزل ترسل للعلماء في تدبير حيلة للفراق فلم تمكن من ذلك حتى وصلت الى وضيع يعلم

العلم فدبرها ان تظهر انها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتختفي
الى ان تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم الشرعي وتعترف بصدور ذلك منها وانها
تابت ورجعت الى الاسلام واخذ على ذلك جعلا ففعلت ما امرها به فاستغرب
الناس ذلك وجزموا انه لايصدر هذا التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه
ففقدوه وفي هذا المعنى قول الشافعي رضي الله عنه

ومن منح الانذال علما اضاعه ، ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وورد ان المرقدساس وفي معنى البيت قول بعضهم

سما بهم في سماء المجد من شرف ، بيت تداعت اليه العرب والعجم

وقوله من الاولى جوهرهم اذا اعتزوا من جوهر منه النبي المصطفى
غاية في المدح فان اتصال الرحم برسول الله صلى الله عليه وسلم اشرف
منقبة يقع بها الفخر فقد ذكر جدي المحب الطبري في كتاب ذخائر العقبى في
فضائل ذوي القربى حديثا خرجه ابن البخترى عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه انه قال كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم خادم تخدمهم يقال
لها بريرة فلقيها رجل فقال لها يا بريرة غطي شعيفاتك فان محمدا صلى الله
عليه وسلم لن يغني عنك من الله شيا قالت فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم
فخرج يجر رداءه محمارة وجنتاه وكنا معشر الانصار نعرف غضبه بجر
ردائه وحمرة وجنتيه صلى الله عليه وسلم فاخذنا السلاح ثم اتيناه فقلنا
يا رسول الله صلى الله عليك وسلم مرنا بما شئت فوالذي بعثك بالحق نبيا
لو امرتنا باباءنا وامهاتنا واولادنا لمضينا لقولك فيهم ثم صعد المنبر فحمد
الله واثنى عليه ثم قال من انا قلنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف قال انا سيد ولد آدم ولا فخر واول من ينفض التراب عن راسه

ولا

ولا فخر واول داخل الجنة ولا فخر وصاحب لواء الحمد ولا فخر وفي ظل الرحمن عز
وجل يوم لا ظل الا ظله ولا فخر ما بال اقوام يزعمون ان رحمي لا تنفع بل تنفع
حتى تبلغ حاء وحكم وهو احدى قبيلتين من اليمن اي لا تشفع فاشفع حتى ان من اشفع
له ليشفع فيشفع حتى ان ابليس ليتطاول طمعا في الشفاعة وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال توفي لصفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ابن فبكت
عليه فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكين يا عمة من توفي له ولد في الاسلام
كان له بيت في الجنة يسكنه فلما خرجت لقيها رجل فقال لها ان قرابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لن تغني عنك من الله شيا فبكت فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
صوتها ففزع من ذلك وكان مكرما لها يبرها ويحبها فقال لها يا عمة تبكين
وقد قلت لك الذي قلت قالت ليس ذلك ابكاني واخبرته بما قال الرجل فغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا بلال هجر بالصلاة ففعل ثم قام فحمد الله
واثنى عليه وقال ما بال اقوام يزعمون ان قرابتي لا تنفع ان كل نسب وسبب
منقطع يوم القيامة الا نسبي وسببي وان رحمي موصولة في الدنيا والاخرة
قال عمر بن الخطاب فتزوجت ام كلثوم لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ واحببت ان يكون بيني وبينه نسب وسبب وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال جاءت سبيعة بنت ابي لهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله ان الناس يقولون انت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو مغضب فقال ما بال اقوام يؤذونني في قرابتي من اذى قرابتي
فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله من العصابة الاولى الذين جوهرهم
جرثومتهم واصلهم اذا اعتزوا انتسبوا كان من جوهر اصل منه النبي محمد
صلى الله عليه وسلم المصطفى من كافة الخلق صلى الله عليه وسلم قال جدي المحب

الطبري في الذخائر عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم فاتخذه خليلا واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ثم اصطفى من ولد اسماعيل نزار ثم اصطفى من ولد نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشا ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفاني من بني عبد المطلب وعن العباس بن عبد المطلب قال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يقول الناس فصعد المنبر فقال من انا فقالوا انت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه وجعلهم فريقين فجعلني في خيرهم فرقة وجعل القبائل فجعلني في خير قبيلة وجعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فانا خيركم بيتا وانا خيركم نفسا وبالجملة فرسول الله صلى الله عليه وسلم اجل من كل وصف كما قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

يا احمد المبعوث فينا لقد ... بلغك المجد الى منتهاه
كم رمت امداحك لو ان لي ... فيما يوفي ذا المعاني ثناه
اني لأحصي ثناء على ... ذي خلق اثنى عليه الاله

ومدائحه صلى الله عليه وسلم مشهورة من الصحابة وغيرهم فقد روى عن العباس رضي الله عنه انه قال يا رسول الله اني اريد ان امتدحك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشا يقول

من قبلها كنت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسرا واهله الغرق

تنقل

تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف عليا تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الـ ... ـارض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي الـ ... ـنور وسبل الرشاد نخترق

صلى عليه الله ما جن الدجا وما جرت في فلك شمس الضحا اشارة الى امتثال قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وهل هي واجبة في العمر مرة او عند ذكره خلاف وافرادها عن السلام مكروه الا ان اتى بهما باللفظ وهي من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن المومنين تضرع ودعاء واحاديثها مشهورة منها كل خطبة لم يصل علي فيها فهي كاليد الجذما اي ناقصة ممحوقة البركة صلى عليه الله رحمه والجملة خبرية اللفظ انشائية المعنى اللهم ارحمه والاخبار ابلغ تفاولا بالوقوع لشدة الرجا ما مصدرية جن ستر الدجا تقدم معناه وما جرت سارت سيرا سريعا في فلك سبق الكلام عليه شمس الضحا والشمس جرم كري مصمت مركوز في جوهر الفلك الخارج المركز مغرق في جرمه بحيث يساوي قطره ثخنه ويماس سطحه سطحه وتفصيل ذلك ان الفلك الرابع ذا السطحين المتوازيين الشامل للارض الذي مركزه مركز العالم ويسمى الممثل وفيما بين محدبه ومقعره فلك اخر يسمى خارج المركز شامل للارض يحيط به سطحان مركزهما خارج عن مركز العالم محدبهما مماس لمحدب سطحي الاول على نقطة مشتركة بينهما تسمى الاوج وهو ابعد نقطة عن الخارج بالنسبة الى مركز العالم ومقعرهما مماس لمقعر سطحي الاول على نقطة اخرى تسمى الحضيض وهو اقرب نقطة على الخارج بالنسبة لمركز العالم وبذلك يصير الاول كرتين غير متوازيين السطوح احدهما حاوية

للثانى ورقتها مما يلى الاوج وغلظها بالحذوف وهاتان الكرتان يسميان بالمتممين
والشمس مركزه فى الخارج كما سبق على هذه الصورة صورة دايرة الشمس

وقد بينا ذلك مع ما يتعلق به فى عيون المسائل واستعمال الصلاة على هذا
الاسلوب متداول بين الشعراء قال بشار

عليك سلام الله ما لاح كوكب ... وما ناح قمرى وما ذر شارق

وفصل بالمفعول ومتعلقاته بين الفعل وهو سقى وفاعله وهو ما نصه
قوله جون اعارته الجنوب جانبا منها وواصت صوبه يد الصبا ماخوذ
من قول امرئ القيس يصف السحاب

راح تمريه الصبا ثم انتحا ... فيه شؤبوب جنوب منفجر

وفيه استعارتان مكنيتان حيث شبه الجنوب بالكريم الذى يستعار منه
والصبا بالجواد ذى الايادى والمنعم وتخييليتان باثبات الاعارة واليد
وجناس الاشتقاق بين الجنوب وجانب جون سحاب وهو من الاضداد
يستعمل فى الابيض والاسود كما بيناه فى عيون المسائل الجنوب السابق بيانها
جانبا قطعة وناحية منها فالعقد منه لان السحاب تشرب من ماء البحر ثم

يرتفع

يرتفع فتقصره الرياح فيعزب كما قال الشاعر

شربن بماء البحر ثم ترفعت ... كاللجج خضر لهن نئيج

ومعلوم ان الجهة الجنوبية من الأرض تحت اكثرها الماء والعمارة اكثرها فى الجانب
الشمالى كما هو مقرر فى محله وواصت واصلت صوبه مطره الصيب يد
الصبا المتقدم ذكرها وقد قيل انما تمطر السحاب بهبوبها ويشير اليه قوله
نآى يمانيا فلما انتشرت احضانه وامتد كسراه غطا وتشبيهه بالجبا
مكنية واثبات الكسر تخييلية وذكر الانتشار والامتداد ترشيح ناى
طلع حال كونه يمانيا بالتخفيف جنوبيا فلما انتشرت امتدت احضانه
نواحيه الى الجانب الشمالى وامتد كسراه بكسر الكاف وفتحها شقاه واصل
الكسر الشقة السفلى من الخبا يرفع احيانا غطا بالغين المعجمة وتخفيف
الطاء انبسط وانتشر فجلل الأفق فكل جانب منها كان من قطره المزن حيا الأفق
وطبق الأرض فكل بقعة منها تقول الغيث فها ها ما قوى اى انا هم الناحية
كلها حتى كان المزن انهل من شقه وغطى الارض واستمر هامعا كانه مقيم ببقاعها
ومعنى الثانى ماخوذ من قول امرئ القيس

ودعة هطلاء فيها وطف ... وطبق الارض تحر وتدره

واعلم ان السحاب والغيم والغمام والمزن والعنان بمعنى واما الغما فهو الغيم
الرقيق ومثله الهما والطها والصنبر السحاب الابيض والمكفهر والكنهور
السحاب المتراكم الغليظ والقزع قطع منه متفرقة والهف الذى لا ماء
فيه والهيدب المتدلى كانه هدب القطيفة والجهام الذى هراق ماءه فجلل
غطا والمجلل من السحاب هو الذى فيه رعد الأفق الدايرة الفاصلة بين ما
ظهر من السما وما خفى منها تحت الارض بحسب ما ينتهى اليه البصر مع وجه الارض

ويجمع على آفاق فكل مبتدا مضاف الى جانب قطعة منها اى الافق حيث كان
بمعنى الناحية او الاحضان كأن مخففة كقول الشاعر

ويوم توافينا بوجه مقسم ۝ كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

من قطره شقه المزن بالنصب خبر كان والخبر حبا بفتح الحاء المهملة اتصل
بعضه ببعض او من قبيل حبا الصبي اذا زحف وهو انسب لما فيه من الاستعارة
حيث شبه المزن بالطفل الذي يتوقف الدر والجون بالوالدة ذات
الاحضان وتحدره عنها بحبو الصغير المتحدر من حضن امه بعد تمام رضاعه
او من حبوت للخمسين اذا دنوت او من حبا الرجل اذا اشرف وهو متعلق
الظرف وروى كان بن قطريه حبا بكسر الجيم الماء الذي يجمع للابل من
جبيت او جبوت الماء في الحوض اذا جمعته وبالرفع مبتدا والاسم محذوف
وجملة المبتدا وخبره خبر فطبق الارض غطاها فكل بقعة قطعة على
غير هيئة التي الى جانبها وفيها لغتان ضم الباء وفتحها وتجمع على بقع وبقاع
منها من الارض تقول بلسان حالها ومقول القول الغيث المطر ومن
اسمائه الودق والهضب والصيب وله مراتب فاخفه واضعفه يسمى طل
ثم الرذاذ ثم النضح ومثله الركّ ثم الزهمة ومثله الذهاب واما الديمة
فهي المطر الدائم مع سكون والغبية المطرة القوية والبوقة الدفقة من
المطر والشؤبوب البوقة الشديدة والمطر الشديد الذي يكون منه السيل
هو الوابل والجود الذي يروى كل شيء والجدا المطر العام والساحية المطرة
التي تسحى الارض اى تقشر وجهها والعين المطر الذي يقيم اياما لا يقلع
ويقال له ح الثوارث والغط واعصن وادحن وثجم واعيط فاذا اقلع قيل الث وارث
انجم وانجا وافصم والوسمى من المطر ما كان على اقبال الشتاء وبعده الولي ثم الصيف

وهو

وهو مطر الصيف ثم الحميم وهو مطر القيض واما المرها دفالامطار البواكر
في هاتا هذه التي بجانبي ثوى اقام وذلك لنضارتها وحسن رونقها وباعث
كون الصبا تمطر السحاب قوله اذا خبت بروقه عنت لها ريح الصبا تشب
منها ما خبا وذلك بتشبيه البرق بالنار المحللة بجوارها كما انعقد منه ولا
شك ان الريح من اسباب الاشتعال وهو قريب من معنى قول الشاعر

اجارتي برقيا وهنا ۝ كنار مجوس تستعر استعارا
ارقت له ونام ابو شريح ۝ اذا ما قلت قد هدا استطارا

اذا خبت بروقه سكن لهيبها والبروق جمع برق ومن اسمائه العقيقة
والايماض لمعه الخفي ونحوه الانكلال فان كان البرق شديد الاضطراب فهو
العواص والخلب منه قد سبق الكلام عليه عنت عرضت لها ريح الصبا
حال كونها تشب بفتح اوله توقد منها ما خبا وتهيجها بهبوبها كما تقدم
وبين خبت وتشب طباق بديعي وقوله وان ونت رعوده حدا بها حادي
الجنوب فحدت كما حدى فيه استعارتان مكنيتان حيث شبه الرعود بالجمال
السائرة بجامع الانتقال من محل الى اخر والجنوب بالجمال السائق لها وتخييليتان
باثبات الونا والحدا الى صل بينهما الطباق البديعي وان ونت فترت رعوده
جمع رعد وهو الصوت المسموع المعروف المختلف فيه هل هو صوت الملك
او صوت سوطه الذي يسوق به المطر او غير ذلك واما صوت الرعد يسمى
القاصف حدا ساق بها حادي الجنوب ما يقها وقد تقدم انحباب الحدا
فحدت بسبب تنشطه كما حدا بسبب نشاطه ومعناه كلما سكنت اثارتها ريح
الجنوب فاسمعت صوتها وهو ناظر الى قول ذي الرمة

وهبت له ريح الجنوب تسوقه ۝ كما سيق مرهوث الذراع مهيضا

وارق ما رايت من الاستعارة فى الجون والبرق والشمال والشمس والطل والخميلة
والبول والنسيم قول ابن خفاجه

وقد جاش من جون الغمامة ادهم ۞ له البرق سوط والشمال عنان
وقد جذع الشمس تحر حديقة ۞ عليه من الطل السقيط جمان
ونمت باسرار الرياض خميلة ۞ لها النور ثغر والنسيم لسان

وقوله كان فى اخصايه وبركه بركا تداعى بين سجر ووحا فيه من الاستعارة
ما لا يخفى من تشبيه ما فى جوفه وصدره بالابل ذات الحنين والاصوات وماخذه
قول امرء القيس

كان هزيزه بوراء غيث ۞ عشار وله لاقت عشارا

وقول عبيد بن الابرص

كان فيه عشارا جلة شرفا ۞ شعثا لهاميم قد همت بارشاح
هدلا مشافرها بحا حناجرها ۞ تزجى مرابعها فى صحصح ضاحى

كان فى اخصانه نواحيه فى السحاب و فى بركه بفتح اوله صدره بركا بفتح
الاول الابل الباركة قال الشاعر

اعزك يوم ان تعال ابن دارم ۞ وتعصى كما تعصى من البرك اجرب

تداعى بحذف احدى التائين اى يدعو كل منهما الاخر حال كونها بين سجر بفتح السين
واسكان الجيم وبالراء الحنين كما قال ابن الشاعاتى

حنت الى برق فقلت لها قرى ۞ بعض الحنين فان سجرك شايقى

ووحى كرحا وهو الصوت ويجوز ان يكون الظرف لغوا وقوله لم ار كالمزن سواما
بهلا تحسبها مرعية وهى سدى لا يخفى ما فيه من الاستعارة والتخييل والترشيح مع
الطباق البديعى لم ار روية بصرية وفى رواية ترى ومفعوله كالمزن مثله وقد تقدم

الكلام

الكلام عليه سواما بفتح الاول وهى والسائم بمعنى وهو المال الراعى نصب على
التمييز او على انه المفعول لارى والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال للتقدم
على الموصوف كقول الشاعر ۞ لمية موحشا طلل ۞ يلوح كانه خلل ۞
بهلا بضم الموحدة وتشديد الهاء جمع باهل الابل المطلقة بغير راعى او التى لا
صرار عليها وبهلة خليته وفيه تحسبها ايها المخاطب اياها كان مرعية محفوظة
براعيها وهى والحال انها سدى بضم اوله وفتح مهمله بدون راع وجملة قوله
يقول للاجراز لما استوسقت بسوقه ثنى برى وحيا فى موضع نصب على
الحال من المزن وفى البيت طباق بديعى وهو من قبيل نطقت الحال بكذا
كما هو مقرر فى علم البيان فى عيون المسائل يقول بلسان حاله للاجراز
جمع جرز بضم الراء وسكونها مع ضم الجيم وباسكانها مع فتح الجيم وهى الارض التى
لم يصبها مطر او التى لم يبق عليها من النبت شى الا اكل لما استوسقت
اجتمعت وحملت من الوسق بسوقه وفى رواية لسوقه وهو بفتح السين
ما ساقه اليها من الخصب ثنى بكسر المثناة الفوقية والقاف الثانى برى
امتلا والريان ضد العطشان وحيا بفتح الحاء المهملة الخصب والمطر وفرع
عليه قوله فاوسع الاجداب سيبا محسنا وطبق البطنان بالماء الروى وهو
ناظر الى قول عبيد

دان مسف فويق الارض هيدبه ۞ يكاد يدفعه من قام بالراح
فمن بنجوته كمن بمحفله ۞ والمستكن كمن يمشى بقرواح

وقريب منه قول كثير فى وصف المطر

فالمستكن ومن يمشى بمروته ۞ سيان فيه ومن بالسهل والجبل

فأوسع وفى رواية فوسع ملا الاجداب جمع جدب بفتح الجيم والدال المهملتين

المرتفع من الأرض في غلظ **سيبا** بفتح السين المهملة عطية **محسنا** بصيغة اسم الفاعل كافيا مقنعا **وطبق البطنان** المنخفض من الأرض وهو فعلان لا فعلال كما هو مقرر في علم التصريف **بالما الروى** بكسر الراء والقصر الكثير واذا فتح ادلهمة وفي البيت طباق بديعي واستعارة حيث شبه المزن بالجواد الذي يوسع العطية على طريق المكنية وخيل لها بالسيب ورشح بما يدل عليه اوسع وبعد ان وصفه بذلك كله ساغ له ان يشبه الأرض بعد احيائه لها بقوله **كانما البيد اغب صوبه بجز طيا ره ثم سجا** وهو ناظر الى قول السدوسي

فامسيت والليل متجلس ⁂ واصبحت والأرض بحر طما

ولامرئ القيس

بح حتى ضاق عن اذيه ⁂ عرض جيم لخفاف فيسر

وجرى المتنبي هذا الجري ولكنه افاد وزاد بقوله

رجل يريك الجو نارا والملا ⁂ كالبحر والتلعات روضا ممرعا

كانما الارض **البيد** القفر وجمع قفار وهي المهمه والهوجل والفيافي والموامي جمع فيفا وميماه بمعنى وكذا الصحرا ومن نعوتها البلقع والنفنف والديموم والدوية والفيف والمليع والتي والقوا والضحضح والصحصحان واما الفلاة فالارض المنقطعة عن الما ومثلها الملا والمرت التي لا نبات فيها ومثلها السبروت **غب** بعد **صوبه** نزوله والغب ان يكون الاتيان بعد يوم ومنه زر غبا تزدد حبا ولقد فرط من قال

لا تزر من تحب في كل شهر ⁂ غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلا الهلال للناس يوم ⁂ ثم لا تنظر العيون اليه

وخالفه

وخالفه عنتره فقال

اذا غايبت من خل وداد ⁂ فزره ولا تخف منه ملالا

وكن كالشمس تطلع كل يوم ⁂ ولا تك في زيارته هلالا

بحر طما تياره موجه **ثم سجا** بالجيم سكن وبالحاء المهملة جرى وبه مع ما قبله يحصل الطباق البديعي وقوله **كانما الجو استحال طبعه فصار ما كله ثم انهوى** ليس في كثير من الروايات وارتباطه بما قبله غير خفي اي ما نزل واصاب الارض حتى صارت كالبحر كانما هو الجو بعد استحالته الى المائية وذلك لكثرة ما هنالك غير ان هذا المعنى خلى عن اللطافة والرشاقة سيما حيث لم يذكر ما يوهل الاستحالة المذكورة ولقد احسن المتنبي التعبير عما هو قريب من المعنى فقال

لم تحك نايلك السحاب وانما ⁂ حمت به فصبيبها الرحضا

كانما الجو تقدم الكلام عليه **استحال** انتقل **طبعه** من حالة الى اخرى والطبع والطبيعة المبدا الاول لحركة ما هو فيه ولسكونه بالذات واستحالته تتعسر بل تتعذر والطبع في الاشيا لا يتغير **فصار ما كله** بعد ان كان هوا وفي هذه اشارة الى جواز انقلاب العناصر وهي النار والهوا والما والارض بعضها الى بعض وقد برهن عليه في علم الحكمة **ثم انهوى** سقط فصار البحر به كانه بحر ولا يخفى ما في تعداد العناصر من التوجيه البديعي فان الجو كما تقدم عبارة عما بين السما والارض ولا شك انه مشتمل على الاكر الثلث النارية والهوائية والمائية حسبما سبق تفصيله والارض مذكورة بعنوان البيد وقوله **ذاك الجدا لا زال مخصوصا به قوم هم للناس غيث وجدا** مشتمل على الجناس التام مع الاستخدام على ما ذهبنا اليه سابقا اجتهادا وانا ثم عند الوصول في الشرح الى هذا المحل اطلعنا على من وافقنا على ذلك وهو الصلاح الصفدي حيث اورد

يعني السراج الوراق وهما

ودع الهوينا وانتصب واكتسب ... واكدح فنفس المرء كداحه

وكن عن الراحة في معزل ... فالصفع موجود مع الراحه

قال بلده ما احسن استخدام الراحة هنا في معنييها الاول الراحة من الاستراحة والثاني الراحة من اليد انتهى انه توسع في الاستخدام واطلقه على نقل لفظ استعمله الغير في احد معانيه الى معنى اخر منها ومثله بقوله مضمنا

ملكت كتابا اخلق الدهر جلده ... وما احد في دهره يتجلد

اذا عاينت كتبي الجديدة حاله ... يقولون لا تهلك اسى وتجلد

حيث نقل تجلد من التجلد الى التجليد وبقوله مضمنا ايضا

قل للرقيب يتزحزح من رصدي ... ما اصبح المعشوق عندي مطلبي

وارتد قلبي عن سيوف جفنه ... وكل شيء بلغ الحد انتهى

حيث نقل الحد من الغاية الى السيف وبقول ابي الحسن الجزار حيث ضمن بيت ابي نواس في الراح ابياته في يوم نيروز وكتب بها الى بعض اصحابه وهي

كتبت بها في يوم لهو وهاتني ... نمارس من ابطاله ما نمارس

وعندي رجال للمجون ترجلت ... عمائمهم عن هامهم والطيالس

فللراح ما زرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

مساحب في جر الرفاق على الفضا ... واصوات انطاع جني ويابس

قال الصفدي انظر الى هذا الرجل كيف يلعب بالكلام وينقل المعنى بحسب التوطئة له من وصف الكاس المذكورة في الابيات الستة المشهورة حتى كان البيت لم يقله ابو نواس الا في الصفادع يوم النيروز فنقل الراح من اسم الخمر الى جمع راحة وهي اليد ذاك الجدا بفتح الجيم وقد تقدم في اسما المطر ويطلق على العطية

كما في اخر البيت وقد اختلف في قصره ومده لا زال مخصوصا به من غير مشاركة قوم وهو في الاصل الرجال لا نسا معهم والمراد بهم من سبق ذكره اذ هم للناس وفي رواية للارض غيث وجدا ومثل ذلك الجدوى وجه وتصدعني سألت واعطيته والمعنى ناظر لقول بعضهم

ابوك لنا غيث نعيش بظله ... وانت جواد لست تبقي ولا تذر

ولما كان تزايد ثنائه على اهل وطنه مشعرا بمزيد التشوق والتحرق وذلك مظنة للهلاك وعدم البقا فساغ الاعتراض عليه بانه لو كان الواقع كذلك لما بقي بعد بعدهم ولما امكن ان يكتم ما يجده من فقدهم اجاب بقوله

ولست اذا ما انهضتني غمرة من يقول بلغ السيل الزبى وهذا غاية في التمكن من الكتمان للهموم والناس في ذلك على قسمين قسم يرى اولوية ذلك كما قال الشاعر

لا تظهرن لعاذل او عاذر ... حاليك في السراء والضراء

فلرحمة المتوجعين حرارة ... في القلب مثل شماتة الاعداء

وقال ابو بكر عبادة بن السما الاندلسي

لا تشكون اذا عثرت ... الى خليط سوء حالك

فيريك الوانا من الإ ... ذلال لم تخطر ببالك

وقال الارجاني

اخفاك اسهادي فصرف مقلتي ... ليت الذي عدم الجميل تجملا

ما لي شكوت اليك نار جوانحي ... لتكون تطفيها فكنت لتشعلا

وقسم يرى ان اتحاف الخليل اولى وبث الهموم عليه احلى كما قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذي مروة ... يواسيك او يسليك او يتوجع

وقال غيره

اذا عنّ أمر فاستشر فيه صاحبًا ... وان كنت ذا رأى تشير على الصحب

فانى رايت العين تجهل نفسها ... وتدرك ما قد حل فى موضع الشهب

وقال الارجانى

شاور سواك اذا نابتك نائبة ... يوما وان كنت من اهل المشورات

فالعين تلقى كفاحا ما نأى ودنا ... ولا ترى نفسها الا بمرآة

وقال ايضا

اقرن برايك راى غيرك واستشر ... فالحق لا يخفى على الاثنين

فالمرء مرآة تريه وجهه ... ويرى قفاه بجمع مرآتين

وهذا البيت من متعلقات علم المناظر وقد قرر علماؤه ان الشخص يمكنه ان يرى قفاه بان يضع بين يديه مرآة واخرى خلفه وتكون احداهما اكبر من الاخرى فاذا نظر الى الاولى اتصل الشعاع البصرى بها وانعكس وانطبع فى الثانية فيرتسم بكل منها وجه فينعكس من الثانية الى الاولى بموجبه الصقالة فيرتسم القفا فيرى لنفسه وجهين وقفا وقال الكندى الصديق انسان هو انت فى المعنى وان كان غيرك فى الحس وفى المثل رب اخ لم تلده امك كما قال امير المومنين المستنجد كم عدو لى من ظهرانى وصديق امه ما ولدتنى وقال بعض الحكما ينبغى للعاقل ان يتخذ صديقا ينبهه على عيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه كما حكى عن السلطان صلاح الدين بن يوسف انه قال يوما للقاضى الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه فتفقده فلما دخل الفاضل الى دار العماد وجد اشياء انكرها فى نفسه من رائحة الخمر والات الطرب فانشده

فما صحبتك

٣٦

فما صحبتك خبايا الود من رجل ... ما لم ينلك بمكروه من العذل

محبتى فيك تأبى ان تسامحنى ... بأن اراك على شىء من الزلل

فلما قام من عنده خرج العماد عما كان عليه واقلع ولم يعد اليه وقال الكندى الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذا لا يستغنى عنه ابدا وطبقة كالدوا يحتاج اليه حينا بعد حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه ابدا وهذا هو الذى عناه الشاعر بقوله

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا ... ولا انت ذو دين فنرجوك للدين

ولا انت ممن يرتجى لكريهة ... فمثلك مثال لا مثل شخصك من طين

وغير بعضهم القافية فقال

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا ... ولا انت ذو جود فنرجوك للقرا

ولا انت ممن يرتجى لكريهة ... فمثلك مثال لا مثل شخصك من خرا

ولست اذا ما انهضتنى غلبتنى وثقت على غمرة كربة تغمر صاحبها اى تعمه من يقول المثل المشهور فى بلوغ الشىء منتهاه وهو بلغ السيل الزبا بضم الزاى جمع زبية وهى حفرة تحفر للاسد فى المواضع المرتفعة من الارض كالرابية وتغطى بشىء ويجعل عليها اللحم فاذا جاء الاسد ليا كل ذلك اللحم سقط فيها وهو ناظر الى قول العجاج قد علا السيل الزبا فلا غير وفيه اقتباس بديعى وطباق بين غمره والسيل وقوله وان ثوت بين ضلوعى زفرة تملأ ما بين الرجا الى الرجا نهنهتها مكظومة حتى يرى مخضوضعا منها الذى كان طغا نبه فى الصبر على المصائب والتجلد نظرا الى العواقب [margin: لصعبة]

قال ابن رشيق

ما انت يا دهر بالاهوال تفجعنى ... الا كمن يقرع الجلمود بالخذف

ان كنت انت لسيف الغدر منتضيا ، فانني من جميل الصبر فى زعف ،

وقال ابو المظفر محمد بن اسماعيل الابيوردى ،

تنكر لى دهرى و لم يدر اننى ، اعز وان الحادثات تهون ،

فبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه ، وبت اريه الصبر كيف يكون ،

وان ثوت اقامت بين ضلوعى جمع ضلع وهى مونثة وعددها فى الرجل اقل من النسا فقد نقل عن شريح قاضى على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قدمت عليه امراة وقالت ايها القاضى انى جئتك مخاصمة قال واين خصمك قالت انت فاخلى لى المجلس وقال لها تكلمى فقالت انى امراة لى احليل و فرج فقال قد كان لامير المومنين فى ذلك راى من حيث جاء البول فقالت انه يجئ منهما جميعا فقال من اين يسبق فقالت يخرجان فى وقت وينقطعان فى وقت معا قال انك لتخبرين بعجيب فقالت اقول اعجب من ذلك تزوجنى ابن عمى واخدمنى خادما فوطيتها فاولدتها وانى جئتك لما اولدتها فقام شريح من مجلس القضا فدخل على على رضى الله عنهما فاخبره بما قالت المراة وامرها على فادخلت عليه فسألها عما قال القاضى فقالت يا امير المومنين هذا الذى قال فاحضر زوجها فقال هذه زوجتك وابنة عمك قال نعم يا امير المومنين قال افعلت ما كان قال نعم اخدمتها خادما فوطيتها فاولدتها ووطيتها بعد ذلك قال له على لانت اجرى من الاسد جيئونى بدينار الخادم وكان معدلا وبامراتين فقال خذوا هذه المراة وادخلوها الى بيت فالبسوها ثيابا وجردوها من ثيابها وعدوا اضلاع جنبيها ففعلوا ذلك ثم رجعوا اليه فقالوا يا امير المومنين عدد اضلاع الجانب الايمن ثمانية عشر ضلعا وعدد اضلاع الجانب الايسر سبعة عشر ضلعا فدعى بحجام واخذ شعرها واعطاها حذاء ورداء والحقها بالرجال فقال

الرجل

الرجل يا امير المومنين امراتى وابنة عمى الحقتها بالرجال ممن اخذت هذه القضية فقال له على ورثتها من ابى ادم ان حوى امنا خلقت من آدم فاضلاع الرجل اقل من اضلاع المراة وعدد اضلاعها اضلاع رجل فاخرجوا انتهى قال الفخر الرازى فى مفاتيح الغيب الذى نقول ان عدد الجانب الايسر من الذكر انقص من عدد اضلاع الجانب الايمن منه بواحدة شى على خلاف الحس والتشريح بقى ان يقال اذا لم نقل بذلك فالمراد من كلمة من فى قوله تعالى وخلق منها زوجها فنقول قد ذكرنا ان الاشارة الى الشئ تارة تكون بحسب شخصه واخرى بحسب نوعه قال صلى الله عليه وسلم فى يوم عاشورا هذا اليوم الذى اظهر الله فيه موسى عليه السلام على فرعون والمراد النوع لا الشخص فكذا ههنا قوله تعالى وخلق منها زوجها اى من نوع الانسان زوج آدم عليه السلام والمقصود منه التنبيه على انه تعالى جعل لادم عليه السلام انسانا مثله انتهى كلام الفخر الرازى رحمه الله تعالى وهو متجه الا انه يشكل عليه تفسير ابن عباس رضى الله عنهما حيث قال فى قوله تعالى وخلق منها زوجها هى حوى خلقها الله تعالى من ضلع آدم واحتمال انها خلقت فى جزء يسير من اضلعه كما تدل عليه من التبعيضية ويؤيده قول من غير اذى لان انفصال بعض الضلع اكثر فى الايذاء من انفصاله كله كما لا يخفى ولو سلم ذلك فيحتمل ان يكون خاصا بآدم غير مطرد فى جميع الرجال من ذريته ولا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم المراة خلقت من ضلع عوجا لاحتمال ان يكون المراة حوى من قبيل ان الرجل علما او الجنس وبجعلها من قبيل الرجل خير من المراة زفرة وهى امتلاء الصدر نحما يكثر معه التنفس وه تملاء جملة وصفية ما بين الرجا الجانب الى الرجا الجانب الثانى تهتهتها كنفتها وزمرتها

تجدداً منى حال كونها **مكظومة** مكتومة مردودة **حتى** كى او الى ان **يرى مخضوضا** منذ تلد والنصب على المفعولية خلافا لمن خفى عنه الحال فاعربه على انه حال **منها** ظرف لغو لطفا **الذى** مفعول لم يسم فاعله **كان طفا** جاوز القدر تقول طفيت وطفوت وغير خاف ما فى البيتين من اللطائف حيث شبهت الضلوع بالمستكين والزفرة بالمتعدى الطاغى فى حلوله على طريق الاستعارة المكنية وخيل بالثوا والملا والزجر والرد والتذلل الحاصل به وبما دل عليه طفا به المجاوزة المذكورة والطباق البديعى وقوله **ولا اقول ان عرتنى نكبة قول القنوط انقد فى البطن السلا** فيه تلميح للمثل وهو انقطع السلى الا انه غيّره لضرورة الوزن قال الشاعر

من مبلغ الحجاج عنى رسالة ... فان شئت فاقطعنى كما انقطع السلا

ولا اقول جواب الشرط وهو **ان عرتنى** اصابتنى **نكبة** تقدم بيانها **قول القنوط** اليائس اى مثل قوله **انقد** انقطع واصله القطع طولا كما ان القط القطع عرضا **فى البطن** وهو معروف **السلا** بفتح اوله وهو مختص بالماشية كاختصاص المشيمة بالانسان وهى وعاء الولد فى بطن امه واذا انقطعت قتلت وقوله **قد مارست من الخطوب مرسا يساور الهول اذا الهول علا** ناظر الى قول الشاعر

قد عشت فى الدهر اطوارا على طرق ... شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلا بلوت فلا النعماء تبطرنى ... ولا تخشعت من لأوائها جزعا
لا يملأ الهول صدرى قبل موقعه ... ولا اضيق به ذرعا اذا وقعا

ومثله قول الآخر

لاتخف

لاتخف للخطوب فى كل وقت ... لا ولا تخشها اذا هى حلت
فحقيق دوامها ليس يبقى ... كثرت فى الزمان او هى قلت
وادّرع للهموم صبرا جميلا ... فالرزايا اذا توالت تولت

وقول غيره

اذا بلغ الحوادث منتهاها ... فرجّ لعقبها الفرج المطلّا
فكم خطب تولى اذ تولى ... وكم كرب تجلى حين جلا

وما احسن قول القاضى الفاضل

لا تلن للخطوب واصلب فمن لا ... ن توالى عليه قرع الخطوب
ان ضرب الحديد ما كان الا ... حين ابدى لينا لحر اللهيب

ولابى الفتح البستى

من جعل الصبر فى مقاصده ... وفى مراقيه سلّما سلما
والصبر عون الفتى وناصره ... وقلّ من عنه ندّ ما ندما
كم صدمته للزمان منكرة ... اما ترى الصبر صدّ ما صدما
فاصبر فان الزمان عن كثب ... يأسو على الرغم كلما كلما

قد مارست من الخطوب جمع خطب وهو الامر العظيم وما يمر على الانسان فى عمره من المكاره **مرسا** بفتح اوله وكسر ثانيه شديد المراس وهو كالممارسة والمعاركة اى صبرا قويا **يساور** يقابل **الهول** المخوف **اذا الهول علا** ارتفع وتشبيه الخطوب والصبر بالمتصارعين مكنية واثبات المقابلة والعلو تخييلية ولا يخفى بين مرس ومارست من الجناس والصبر محمود العاقبة الا ان فيه مشقة كد وطول امد كما قال الشاعر

ما احسن الصبر ولكنه ... فى ضمنه يذهب عمر الفتى

وما الطف قول القاضي الفاضل

يقولون ان الصبر يعقب راحة ، وما ضمنوا تبليغ عاقبة الصبر
وفي الصبر ربح او طريق مبلغ ، الى الربح لكن الخسارة في العمر

وما انكت قول السراج الوراق

وقائل قال لي لما رأى قلقي ، لطول وعد وآمال تمنينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم ، محمودة قلت اخشى ان تخربنا

وقوله لي التوا ان معادي التوا لي استوا ان موالي استوا ماخوذ من قول امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه

لئن كنت محتاجا الى الحلم انني ، الى الجهل في بعض الاحايين احوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ، ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شا تقويمي فاني مقوم ، ومن شاء تعويجي فاني معوج
وما كنت ارضى الجهل خلا ولا اخا ، ولكنني ارضى به حين احوج
فان قال بعض الناس فيه سماجة ، فقد صدقوا والذل بالحر اسمج

وقال بعض الحكما اعلم ان من الناس من يجهل اذا حلمت عليه ويحلم اذا جهلت عليه ويحسن اذا اسات له ويسيء اذا احسنت اليه وينصفك اذا ظلمته ويظلمك اذا انصفته فمن كان هذا خلقه فلا بد من خلق ينصف من خلقه ثم قحة تنصف من قحته وجهالة تقدع من جهالته والا ذلك لان الحلم اذ عاف وقد ذل من ليس له سفيه يعضده وضل من ليس له حليم يرشده

وما احسن قول ابن حمدان

في الناس ان فتشتهم ، من لا يعزك او تذله
فاترك مجاملة اللئيم ، فان فيها العجز كله

لي التوا اعوجاج ان التوى معادي بضم الميم وكسر الدال من العدوة واصله بعد الاعلال معاديي بدون ادغام ثم ادغمت اليا في اليا على القاعدة النصر هذا على صورة الافراد واما اذا كان جمعا فاصله بعد حذف النون للاضافة ليا المتكلم معادوي نقلبت الواو يا لاجتماعها مع اليا حال كونها ساكنة فادغمت فيها على القاعدة وكسرت الدال لمناسبة اليا التوا اعوج عن الاستقامة لي استوا استقامة ان موالي واعلاله كاعلال سابقه وهو من الموالاة في النصر وغيرها وفي الحديث من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم من والاه وعاد من عاداه استوا استقام ولا يخفى ما في البيت من الطباق البديعي والموازنة بين كلماته والجناس وقوله طعمي شرى للعدو تارة والارى بالراح لمن ودي ابتغى ماخوذ من قول ابن اخت تابط شرا في قصيدته التي من المديد ولا باس بايرادها لحسنها وعذوبة الفاظها وهي هذه

يغية

والح

ان بالشعب الذي دون سلع ، لقتيلا دمه ما يطل
،
ووراء الثار مني ابن اخت ، مصع عقدته ما تحل
مطرق يرشح سما كما اطرق افعى ينفث السم صل
خبر ما نابنا مصمئل ، جل حتى دق فيه الاجل
بزني الدهر وكان غشوما ، بابي جاره ما يذل
شامس في القر حتى اذا ما ، حل حل الحزم حيث يحل
مسبل في الحي احوى رفل ، واذا يغزو فسمع ازل
وله طعمان ارى وشرى ، وكلا الطعمين قد ذاق كل
غيث مزن عامر حين يجدي ، واذا يسطو فليث ابل

يركب الهول وحيدا ولا … يصحبه الا اليماني الأفل
وهو هجروا ثم اسروا … ليلهم حتى اذا انجاب حلوا
كل ماض قد تردى بماض … كسنا البرق اذا ما يسل
فاحتسوا نعاس نوم فلما … ثملوا رعتهم فاشمعلوا
فلئن فلت هذيل شباه … لبما كان هذيلا يفل
وبما ابركهم في مناخ … جعجع ينقب فيه الاظل
صليت مني هذيل بخرق … لا يمل الشر حتى يملوا
ينهل الصعدة حتى اذا ما … نهلت صار لها منه عل
تضحك الضبع لقتلى هذيل … وترى الذيب لها يستهل
وعتاق الطير تغدو بطانا … تتخطاهم فما تستقل
فادركنا الثار منهم ولما … ينج من حيين الا الاقل
مطلع الشمس فلما انجرت … ادبروا من فورهم فاجفالوا
حلت الخمر وكانت حراما … وبلاي ما المت تحل
فاسقنيها يا سواد بن عمرو … ان جسمي بعد خالي لخل

طعم بفتح الطاء المهملة ما يؤديه الذوق واما بالضم فهو الطعام والمطعوم تسعة اصولها اربعة الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة والباقي مركب منها وهو المزوزة والعفوصة والدسومة والحريفية والتفاهة وذلك لأن الجسم اما كثيف اولطيف اومعتدل والفاعل فيه اما البرد او الحر او المعتدل بينهما وثلاثة في ثلاثة بتسعة والحار يفعل في الكثيف المرارة وفي اللطيف الحرافة وفي المعتدل الملوحة والبارد يفعل في الكثيف العفوصة وفي اللطيف الحموضة وفي المعتدل القبض وهو المزوزة والمعتدل يفعل في الكثيف الحلاوة

وفي اللطيف الدسومة وفي المعتدل التفاهة وقد تجمع المرارة والقبض كما في الحضض ويسمى البشاعة والمرارة والملوحة كما في السبخة ويسمى الزعوقة ومما يلحق قول ابن رشيق يوسف لؤلؤ الذهبي

يا عاذلي في هواه … اذا بدا كيف اسلو
يمر بي كل وقت … وكلما مر يحلو

وللصفي الحلي

يا قابض المال الذي لم يزل … طرفي الى بهجته يطمح
ومن اذا اجرحني لحظه … غدا بلحظي خده يجرح
تالله لا انفك مستهزئا … فيك بإسعادي ولا ابرح
معذب القلب بالاحماض في … قابض حلو مز يستملح

وقولهم فلان يحب الحموضة معناه يعمل عمل قوم لوط والاحماض لغة الانتقال من شي الى شي وفي الحديث النفس حمضا تشتهي الانتقال **شرى** حنظل مر الطعم كما قال القائل

لا تكن سكرا فتاكلك النا … س ولا حنظلا تذاق فترمي

للعدو ضد الصديق **تارة** ظرف وهو بمعنى الوقت والمدة **وطمى** تارة **الأرى** العسل حال كونه ممزوجا **بالراح** الخمر كما قال الشاعر

كان مزاجها عسل وماء

لمن ودى بضم الواو محبتي **ابتغي** طلب وفي الجمع بينه وبين العدو طباق بديعي وكذا بين الارى والشرى على ما فيهما من الموازنة فان قلت لم اتى بالشرى منكرا وبالارى معرفا وما النكتة في ذلك قلت لضرورة الوزن والنكتة مناسبة الحال حيث كان الاول منكرا فناسب ان يكون منكرا ولما كان الثاني

معرفا فناسب ان يكون معرفا فان قلت لم لم يطلق الثانى كالاول ولاى فايدة قيده بالحال قلت لكون المزاج كاسر السورة حرارة المزاج ولحصول الافراح بانضمام الراح على الراح وقوله لين اذا لوينت سهل معطفى الوى اذا خوشنت مرهوب الشذا ماخوذ من قول جرير

سرا ابا مروان ان عاسرته * عسر وعند يساره ميسور

وقال المحسن

واذا ياسرته صادفته * سلس الخلق سليم الناحيه
واذا عاسرته صادفته * شرس الراى ابيا داهيه

انا لين بالتخفيف كاخفف ميت وامثاله وفى الحديث المومن هين لين

وقال العرندس الكلابى

هينون لينون ايسار ذوى يسر * سواس مكرمة ابناء ايسار
ان يسالوا الخير يعطوه وان خبروا * فى الجهد ادرك منهم طيب اخبار
وان تودد تهم لانوا وان شهموا * كشفت اذمار شر غير اشرار
فيهم ومنهم يعد الخير متلدا * ولا يعد ثنا خزى ولا عار
لا ينطقون على الفحشا ان نطقوا * ولا يمار وا اذا ماروا باكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم الذى يسرى بها السارى

وامتدح بها بنى عمرو الغنويين وكان ابو عبيدة اذا انشدها يقول هذا والله محال اى سهل الانعطاف اذا لوينت سوهلت فى الامور سهل معطفى ميلى وانحنائى وهو تاكيد للاول للاطناب وانا الوى شديد الخصومة صلب فيها اذا خوشنت من الخشونة مرهوب من الرهبة وهى الخوف اى مخوف الشذا الاذى والحذر وبين لين والوى وكذا بين سهولة وبين رهبة الشذا

طباق

طباق بديعى وبين لوينت وخوشنت موازنة قال الشافعى رضى الله عنه من استرضى ولم يرض فهو شيطان ومن استغضب ولم يغضب فهو حمار وفى معنى البيت قول ذى الاصبع العدوانى

لا يخرج القسر منى غير مابيه * ولا الين لمن لا يبتغى لينى

وقال الحريرى

جزيت من اعلق بى وده * جزاء من يبنى على اسه
وكلت للخل كما كال لى * على وفاء الكيل او بخسه
ولم اخسره وشر الورى * من يومه اخسر من امسه
وكل من يطلب منى جنى * فما له الا جنا غرسه
لا ابتغى الغبن ولا انثنى * بصفقة المغبون فى حسه
ولست بالموجب حقا لمن * لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالنى * اصدقه الود على لبسه
وما درى من جهله اننى * اقضى الغريم الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلا * وهبه كالملحود فى رمسه
والبس لمن فى وصله لبسة * لباس من يرغب عن انسه
ولا ترج الود ممن يرى * انك محتاج الى فلسه

غرمي

وقوله يعتصم الحلم بجنبى حبوتى اذا رياح الطيش طارت بالحبا احتراس اذ ليس فى اطلاق البيت الاول كبير مدح لان كل احد يقدر على معاملة الحسنة بالحسنة والسيئة بالسيئة وانما الممدوح به مقابلة السيئة بالحسنة لما فى ذلك من التمكن من النفس والقدرة على قمع سلطانها ومنع استرسالها عند استحواذ شيطانها قال اكثم بن صيفى من حلم ساد

ومن فهم ازداد، وكفر النعم لوم، وصحبة الجاهل شوم، ولقاء الاخوان غنم، والمعاشرة يمن، ومن الفساد اضاعة الزاد، وقال لقمان لابنه يا بني ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلاثة، لا يعرف الحلم الا عند الغضب، ولا الشجاع الا عند الحرب، ولا اخوك الا عند الحاجة اليه، وسب رجل بعض الحكما فاعرض عنه، فقال اياك اعني، فقال له الحكيم وعنك اعرض، وقيل للاحنف ما احلمك، فقال لست بحليم، ولكني اتحالم، واني لاسمع الكلمة فاحرمها ثلاثا ما يمنعني عن جوابها الا الخوف ان اسمع شرا منها، وقال الشاعر

ولبس يتم الحلم للمرء راضيا ، اذا كان عند السخط لا يتحلم ،
كما لا يتم الجود للمرء موسرا ، اذا كان عند العسر لا يتكرم ،

واحنف هذا من المشهورين بالحلم وبه يضرب المثل كما قال ابو تمام في مدح احمد بن المعتصم

اقدام عمرو في سماحة حاتم ، في حلم احنف في ذكاء اياس ،

حكى انه لما انشد هذا البيت من القصيدة قال له يعقوب بن اسحاق بن الصباح الكندي المسمى في وقته فيلسوف الاسلام ما صنعت شيئا لانك ما زدت ان شبهت ابن امير المومنين بصعاليك العرب وايضا شعرا دهونا تجاوزوا بالمدح الا ترى الى قول العكوك في ابي دلف

رجل ابر على شجاعة عامر ، باسا وغبر في محيا حاتم ،

فاطرق ابو تمام ثم انشد

لا تنكروا ضربي له من دونه ، مثلا شرودا في الندا والباس ،
فالله قد ضرب الاقل لنوره ، مثلا من المشكاة والنبراس ،

ولم يكن ذلك في القصيدة فتعجب من بديهته ثم انه طلب ان يكون جائزته ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندي ولوه فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال ونذكر فراسة الكندي ذكرت ما حكي عن اياس بن معاوية من انه نظر الى ثلاث نسوة فزعن من شي فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فكان الامر على ما ذكر فقيل من اين لك هذا فقال لما فزعن وضعت احداهن يدها على بطنها والاخرى يدها على ثديها والاخرى على فرجها وما حكي عن ابي الحارث من ان شخصا انشد بين يديه قول العباس بن الاحنف

قلبي الى ما ضرني داعي ، تكثير اسقامي واوجاعي ،
كيف احتراسي من عدوي اذا ، كان عدوي بين اضلاعي ،
ان دام لي هجرك مع فقده ، يا من تمطيه بابداعي ،
لقلما ابقى على حالة ، يوشك ان ينعاني الناعي ،

فقال ابو الحارث هذا رجل جائع يصف جارية طباخة مليحة فقيل له من اين لك فقال لانه بدا فقال قلبي الى ما ضرني داعي ولذلك الانسان تدعوه شهوته ونفسه الى ما يضره من الطعام والشراب فياكل فتكثر اوجاعه وهذا تعريض ثم صرح فقال كيف احتراسي البيت وليس عدو الانسان بين اضلاعه الا معدته فهي تتلف ماله وهي سبب اسقامه ومفتاح كل بلاء عليه قال ان دام لي هجرك البيت فعلمت ان الطباخة كانت صديقته وهجرته ففقدها وفقد الطعام ولو دام عليه لمات جوعا ونذكر انه ستصفاد عن الولاية ذكرت ما حكاه المسعودي في شرح المقامات قال ان المهدي لما دخل البصرة راى اياس بن معاوية

وهو صبي وخلفه اربعماية من العلماء واصحاب الطيالسة واياس يتقدمهم فقال
المهدى أف لهذه العثانين اما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم ان
المهدى التفت اليه وقال كم سنك يا فتى فقال سنى اطال الله بقاء امير المومنين
سن اسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم
ابو بكر وعمر فقال له تقدم بارك الله فيك واعترض ذلك بما نقله الذهبي
في تاريخه الكبير من ان اياسا قاضي البصرة توفي في زمن بني امية سنة ولة
تسع عشرة سنة ولم يلحق دولة بني العباس وكان معروفا بالفطنة والذكا والفراسة
ولاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وحسبك بن بختياره مثل
عمر لمثل هذا المنصب انتهى وحكى عن يحيى بن اكثم انه ولى قضا البصرة
وسنه عشرون سنة فاستصغروه فقالوا كم سن القاضي فقال انا اكبر من
عتاب بن اسيد الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم
الفتح وانا اكبر من معاذ بن جبل الذي وجهه النبي صلى الله عليه وسلم قاضيا على
اليمن وانا اكبر من كعب بن سوار الذي وجهه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيا
على البصرة فجعل جوابه احتجاجا واعلم ان جماعة رزقوا السعادة والحظ
في اشياء لم ينلها غيرهم فاشتهروا بها قال الصفدي وهو ابو بكر في القضا
وابو عبيدة في الامانة وابو ذر في صدق اللهجة وابي في القران وزيد
في الفرايض وابن عباس في التفسير والحسن البصري في التذاكير ووهب
في القصص وابن سيرين في التعبير ونافع في القرآت وابو حنيفة في القياس
وابن اسحاق في المغازي ومقاتل في التاويل والكلبي في قصص القرآن
وابن الكلبي الصغير في النسب وابو الحسن المدايني في الاخبار وابو عبيدة في الشعوبية
ومحمد بن جرير الطبري في علوم الاثر والخليل في العروض وفضيل بن عياض في العبادة

ومالك

ومالك بن انس في العلم والشافعي في فقه الحديث وابو عبيدة في الغريب وعلي
ابن المدايني في علل الحديث ويحيى بن معين في الرجال واحمد بن حنبل في السنة
والبخاري في نقد الحديث والجنيد في التصوف والاشعري في الكلام والطبراني
في العوالي وعبد الرزاق في ارتحال الناس اليه وابن مندة في سعة الرحلة
والخطيب في سرعة القراة وابن حزم في الظاهرية وسيبويه في النحو
واياس في التفرس وعبد الحميد في الكتابة والرقي وابو مسلم الخراساني في
علو الهمة والحزم والموصلي النديم في الغنى وصاحب الاغاني في المحاضرة الغنا
وابو معشر في النجوم والرازي في الطب وعمارة اليمني في التيه والفضل
ابن يحيى في الجود وجعفر بن يحيى في التوقيع وابن زيدون في سعة العبارة
وابن القرية في البلاغة والجاحظ في الادب والبيان والحريري في المقامات
والبديع الهمداني في الحفظ وابو نواس في المجون والخلاعة وابن الحجاج في سخف
الالفاظ والمتنبي في الحكم والامثال شعرا والزمخشري في تعاطي العربية
والنسفي في الجدل وجرير في الهجاء الخبيث وحماد في الرواية في شعر العرب
ومعاوية في الحلم والمامون في حب العفو وعمرو بن العاص في الدها والوليد
في شرب الخمر وابو موسى الاشعري في سلامة الباطن وعطا السلمي في الخوف
من الله وابن البواب في الكتابة والقاضي الفاضل في الترسل والعماد
الكاتب في الجناس وابن الجوزي في الوعظ واشعب في الطمع والفارابي في
نقل كلام القدما ومعرفته وتفسيره وحنين بن اسحاق في ترجمة اليوناني
الى العربي وابن سينا في الفلسفة والفخر الرازي في الاطلاع على العلوم والسيف
الآمدي في التحقيق والنصير الطوسي في المجسطي وابن الهيثم في الرياضي والنجم
الكاتبي في المنطق وابو العلا المعري في الاطلاع على اللغة وابو العينا في الاجوبة

المسكتة ويزيد في البخل والقاضي احمد بن داود في المروة وحسن التقاضي وابن
المعتز في التشبيه وابن الرومي في التطير والصولي في الشطرنج والغزالي في
الجمع بين المنقول والمعقول وابو الوليد بن رشد في تلخيص كتب الاقدمين
الفلسفية والطبية ومحيي الدين بن العربي في التصوف انتهى قلت ذكر
اولا الجنيد في التصوف وهنا ذكر ابن العربي فتأمله **يعتصم** بحبل **الحلم** بكسر الحاء المهملة ضد الجهل والطيش **بحبي حبوتي** بكسر الحاء وضمها وهي
ما يحتبي به من ثوب او غيره بان يدار على الظهر ويشد على الساقين وهو من
خواص العرب والجمع حبا بضم الحاء وكسرها وحكم الاحتباء مذكور في محله وكني
بحل الحبا عن الطيش كما قال الافوه الاودي

ولقد يكون اذا تحللت الحبا ... لما يرى
ومقالها له مرحبا ها ... ذاك في السن يبرى

اذا رياح الطيش الخفة **طارت بالحبا** من غيري ولو قال طارت بالنهى
لكان انسب واولى ليصير المعنى ان الحلم الذي يتثبط عليه رياح الطيش
اذا تمسك بحبوتي سلم من الطيران ومتى لاذ بغيري طارت به وان كان
طيران حبا الغير مستلزما لطيران الحلم حيث كان مناط بقائه استمساكه
به فاذا ذهب ذهب بالضرورة نعم لو قال ويمسك الحلم نواحي حبوتي
كان الانسب ما قاله في الشطر الاخير لتصير المقابلة بين طيران الرياح
بحبا غيره ومسك الحلم لحبوته واما استمساكه به فالاليق ان يقابل بعدم
استمساكه بحبا غيره بان تطير به الرياح المذكورة لا بعدم وجود المتمسك
به وان استلزمه كما مر آنفا ولا يخفى ما في البيت من الطباق بين الحلم
والطيش والاعتصام والطيران ومن المبالغة الحاصلة من مقابلة المفرد

بالجمع ومن الاستعارة في الحلم حيث شبه برجل خائف يرجو ملاذا على طريق
الكناية وخيل له بالاعتصام وفي الحبوة حيث شبهت بالملاذ ذي الجناب الرفيع
الذي يعتصم به على اسلوب المكنية وخيل لها بذكر الجانبين وفي الطيش حيث
شبه به الرياح واطلقت عليه ورشح لها بالطيران وقوله **لا يطبيني طمع مدنس
اذا استمال طمع او اطبى** فيه اشارة الى سبب دوام حلمه دون غيره فان
الطمع هو الذي يستميل الشخص ويسلك به مسالك الخفة والطيش والدنس
كما قال ثابت قطنة العتكي

لا خير في طمع يدني الى طبع ... وعفة من قوام العيش تكفيني

ومن ملك القناعة لم يكشف قناعه بل يكون ملكا موقرا ومنصورا نضرا موزرا
فقد قال صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم آمنا في سربه معافا في بدنه
معه قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ارض بما
قسم الله لك تكن اغنى الناس واعمل بما افترض عليك تكن اعبد الناس
واجتنب ما حرم الله عليك تكن اورع الناس ولله در ابي العتاهية حيث
قال

حتى متى نحن في الايام نحسبها ... وانما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نامله ... لعله اجلب الايام للحين

وعقد به قول ابي حازم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس
فلا يجدون لذته وانا واياهم في غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان
يكون اليوم وعقده ايضا ابو الفتح البستي فقال

قد مر امس ولم يعبا به احد ... من الانام ببوس مر ام رغد
وعندي اليوم قوت استقد به ... وان بقيت غدا اصلحت امر غد

وفي الحقيقة من علم المآل لم يطمع في كسب المال كما حكى ابن مسدي عن

محمد بن علي بن الخيمي الكاتب قال سمعته يقول وليت حوران في قديم الزمان وكنت كثير الجوار لقبور بني ايوب فاصابني ضيق فرايت في النوم كان من قبورهم قبر شمس الدولة فقصدت اليه فوجدت قبرا عظيما مفتوح الباب وهو فيه مسجى بكفنه ومعي قصيدته امتدحه بها فانشدته اياها فلما فرغت من انشادي استتر عني في زاوية القبر واخذ كفنه فرمى به الي فرأى في وجهي اثر الندم والانكسار فعرف ذلك مني فانشد

لا تستقلن معروفا سمحت به … ميتا واصبحت منه عاري البدن
ولا تظنن جودي شابه بخل … من بعد بذلي ملك الشام واليمن
اني خرجت من الدنيا وليس معي … من كل ما ملكت كفي سوى كفني

وقال ابن الساعاتي

كفى بملوك الارض جهلا حذارهم … وان ملكوا ان يسلب الملك عنهم
وحب جعلوا ما في المعادن جملة … رهائن اكياس تشد وتختم
فلم يبق دينار سوى الشمس لم تنل … ولم يبق غير البدر في الناس درهم
اليس اخو الطرب في العيش فوقهم … اذا بات لا يخشى ولا يتوهم

ومأخذه قول محمد بن غالب

صون الغنى وجهه أبقى لحرمته … جاء ذلته في الموقف الزاري
قنعت فانظر مالي في السما بيدي … وبدرها درهمي والشمس ديناري

قال ابن النحوي لما قدم ابو تمام قال لي ابي ما افدت من سفرتك هذه قال اربعمائة درهم واربعة ابيات احب الي من المال قال انشدني اياها قال انشدني ابو نواس الحسن بن هاني لنفسه

اني وما جمعت من صفد … وحويت من سبد ومن لبد

هم

هم تصرفت الخطوب به … فنزعن من بلد الى بلد
يا ويح من حسنت قناعته … سبب المطامع عن غد فغد
لو لم يكن لله متهما … لم يمس محتاجا الى احد

وهذه الابيات ماخوذة من قول الحسين بن علي رضي الله عنهما

اغنى عن المخلوق بالخالق … تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله … فليس غير الله بالرازق
من ظن ان الناس يغنونه … فليس بالرحمن بالواثق
او ظن ان المال من كسبه … زلت به النعلان من حالق

ومن هذا القبيل قول ابي الصقر

كل رزق ترجوه من مخلوق … يعتريه ضرب من التعويق
وانا قائل واستغفر الله … مقال المجاز لا التحقيق
لست ارضى من فعل ابليس شيئا … غير ترك السجود للمخلوق

ولقد اجاد الشيخ ابو الحسن علي بن رزيق الكاتب البغدادي في قصيدته ذات الحكم التي قال فيها ابو محمد بن حزم من تختم بالعقيق وقرأ لابي عمرو وتفقه للشافعي وحفظ قصيدة ابن رزيق فقد استكمل الظرف وهي هذه

لا تعذليه فان العذل يولعه … قد قال حقا ولكن لست اسمعه
جاوزت في لومه حدا اضر به … من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
فاستعمل الرفق في تأنيبه بدلا … من عنفه فهو مضنى القلب موجعه
قد كان مضطلعا بالبين يحمله … فضلعت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من روعة التفنيد ان له … من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وازعجه … رأي الى سفر بالعزم يجمعه

يضربه

كانما هو من حل و مرتحل … موكل بفضاء الارض يذرعه
ان الزمان اراه في الرحيل غنى … ولو الى السند اضحى وهو يرفعه
تابى المطامع الا ان تجشمه … للرزق كدحا وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الانسان واصلة … رزقا ولا دعة الانسان تقطعه
والله قسم بين الخلق رزقهم … لم يخلق الله مخلوقا يضيعه
لكنهم ملئوا حرصا فلست ترى … مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص في الرزق والارزاق قد قسمت … بغي الا ان بغي المرء يصرعه
والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعه … اربا ويمنعه من حيث يطمعه
استودع الله في بغداد لي قمرا … بالكرخ من فلك الازرار مطلعه
ودعته وبودي ان يودعني … صفو الحياة واني لا اودعه
وكم تشفع بي ان لا افارقه … وللضرورات حال لا يشفعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى … وادمعي مستهلات وادمعه
لا اكذب الله ثوب العذر منخرق … عني بفرقته لكن ارقعه
اني اوسع عذري في جنايته … بالبين عني وقلبي لا يوسعه
اعطيت ملكا فلم احسن سياسته … وكل من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غدا لابسا ثوب النعيم بلا … شكر عليه فعند الله ينزعه
اعتضت من وجه حبي بعد فرقته … كاسا يجرع منها ما اجرعه
كم قايل لي وقت البين قلت له … الذنب والله ذنبي لست ادفعه
اني لاقطع ايامي وانفدها … بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن اذا هجع النوام ابت له … بلوعة منه ليلي لست اهجعه
لا يطمئن لجنبي مضجع وكذا … لا يطمئن له مذ غبت مضجعه

ماكنت

ماكنت احسب ريب الدهر يفجعني … به ولا ان بي الايام تفجعه
حتى جرى البين فيما بيننا بيد … عسرا تمنعني حظي و تمنعه
بالله يا منزل القصر الذي درست … آثاره وعفت مذ بنت اربعه
هل الزمان معيد فيك لذتنا … ام الليالي الذي امضت ترجعه
في ذمة الله من اصبحت منزله … وجاد غيث على مغناك يمرعه
من عنده لي عهد لا يضيعه … كما له عهد صدق لا اضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره واذا … جرى على قلبه ذكري يصدعه
لاصبرن لدهر لا يمتعني … به كما انه بي لا يمتعه
علما بان اصطباري معقب فرجا … فاضيق الامر ان فكرت اوسعه
عسى الليالي التي ضنت بفرقتنا … جسمي ستجمعني يوما وتجمعه
وان ينل احدا منا منيته … فما الذي في قضاء الله يصنعه

وحكي عن ابي تمام انه عزم على الانحدار الى البصرة فورد عليه كتاب عبد الصمد بن المعدل وفيه

انت بين اثنين تبرز للناس وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك راغبا في وصال … من حبيب او طالبا لنوال
اي ماء لحر وجهك يبقى … بين ذل الهوى وذل السؤال

فكر راجعا وقال لا ادخل بلدا فيها مثل هذا الشاعر وقريب من هذا المعنى ماهجي به المتنبي وهو

اي فضل لشاعر يتحدى … انعم الناس بكرة وعشاء
عاش طورا يبيع بالكوفة الما … وطورا يبيع ماء المحيا

ومن هنا قال بعضهم

الكلب والشاعر فى رتبة ۔ ياليت انى لم اكن شاعرا
والله لولا حرفات الهوى ۔ ماكنت الا رجلا تاجرا

لايطبنى تقدم الكلام عليه طمع حرصا ورجا مدنس اسم فاعل اى موسخ لعرض وهو صفة كاشفة كقول الشاعر

الالمعى الذى يظن بك الظن ۔ كأن قد رأى وقد سمعا

ومن المشهورين بذلك اشعب كما سبق ويحكى عنه انه قيل له مابلغ من طمعك فقال ماكنت فى جنازة ورايت اثنين يتسارّان الا قلت هما يتسارّان فى شئ اوصى به الميت لى وسئل بشار عن ماخذ قوله

يروعه السرار بكل شئ ۔ مخافة ان يكون به السرار

فقال قول اشعب هذا واخذه ابو نواس ايضا فى قوله

تركتنى الوشاة نصب المسير بن واحدثوه بكل مكان
ما ارى خاليين فى الناس الا ۔ قلت ما يخلوان الا لشانى

اذا استمال غيرى طمع أو اطبى وهذا العطف لا فائدة فيه اذ هو من قبيل التاكيد لما علم سابقا من ان معنى اطبى استمال نعم لو قدم ذكر او عطف عليه استمال كان تاسيسا غير ان الوزن لا يساعده وفائدته حينئذ حصول الايضاح فمن ثم قال بعض الفضلا ينبغى فى المكاتبات ان يقدم مولانا على سيدنا حيث كان المولى مشتركا بين معان متعددة فيخلصه مابعده ويخصه لاحدها وقوله وقد علت بى رتبا تجاربى اشفين بى منها على سبل النهى بمنزلة التعليل لعدم الاستمالة فان التجارب مفاتيح العقول والاسباب الموصلة للمطلوب والمامول كما قال الشاعر

ان الرجال صناديق مقفلة ۔ وما مفاتيحها الا التجارب

وما احسن قول مجير الدين بن تميم

لك العذر كم صاحبت فى الناس صاحبا ۔ فما نالنى منه سوى الهم والعنا
وجربت ابناء الزمان فلم اجد ۔ فتى منهم عند المضيق ولا انا

وقد علت وارتفعت بى رتبا جمع رتبة وهى الدرجة والمنزلة والرفعة تجاربى بكسر الراء اختبارى للامور وسبرى لتصاريف الدهور اشفين الرتب والجملة وصفية والمعنى مشرفات بى منها اى بسبب التجارب على سبل النهى جمع نهية وقد تقدم معناه وعبر خافيا ما فى النهى من الاستعارة حيث شبه بالقصد الذى يتوصل اليه بطرق عديدة على طريق الكناية واثبت له السبل على اسلوب التخييل وكذا ما فى استعارة كل من التجارب والرتب واثبات العلو والاشراف بهما وقوله اذا امرؤ خيف لافراط الاذى لم يخش منى نزقا ولا اذى بمنزلة البيان لقوله يعتصم الحلم وهو اشارة الى الاعتدال فى المكافات المتوسطة بين الافراط والتفريط وذلك لا ينافى الحلم لانه فى كل شئ بحسبه وهو الخوف ماخوذ من قول الشاعر

ولست بنحيس عليه وان اسا ۔ وما شكل من اذى نداماه من شكلى

وفى الجمع بين الخوف وعدم الخشية طباق بديعى اذا امرؤ تقدم الكلام عليه خيف هيب والاصل خوف بالبناء للمجهول اى خافه غيره ومعلوم اعلال خاف لاجل لافراط الاذى لمجاوزته المقدار فى جانب الزيادة ويقابله من جهة النقصان التفريط وخاف الوسط بينهما الاعتدال لم يخش جواب الشرط منى نزقا بنون فزاى بعدها قاف اى خفة ولا اذى ما يتاذى به وهو من باب رضى يرضى ولما كان اطلاقه موهما للوهن والضعف عقب بقوله
من غير ما وهن ولكنى امرؤ اصون عرضا لم يدنسه الطخا على اسلوب

الاحتراس البديعي والكاهران الصيانة وعدم الانتقام كما يقتضيه صنيعه
السابق او بالبذل للانعام كما يقتضيه صنيعه اللاحق والبيت لهذا المعنى
على جانب من البلاغة ولو سمي باستخدام التنازع لم اربه باسا وماخذ
الصدر قول ابن عنقا الفزارى

اذا اقبلت عوراء اغضى كانه … ذليل بلا ذل ولو شا لانتصر

وماخذ العجز قول حسان

اصون عرضي بمالي لا ادنسه … لا بارك الله بعد العرض في المال

من غير بدون ما زايدة وهن باسكان الهاء هنا وبفتحها ضعف وكانه
استشعر اعتراضا على الاحتراس اما على الاحتمال الاول فتقديره اذا كان
صحيحا فلم لا ينتقم فقال ولكني على طريق الاستدراك البديعي امرؤ اصون
بالحلم وهو من الصيانة عرضا بكسر اوله يطلق ويراد به النفس وصيانته
توقي ما يخل به من جهة الشرع والمروة والفتوة لم يدنسه يوسخه الطخا
بفتح الطاء المشددة غير معجمة وبالخاء المعجمة العيب واصله المد وانما قصر
للضرورة وهو جائز نظما ونثرا بلا خلاف اما النظم فشواهده كثيرة واما
النثر فلقول قيس بن عاصم وقد قيل له بم سدت قومك قال ببذل القرى
وترك المرا ونصرة المولى ومعلوم ان المرا ممدود وقاس بعضهم مد المقصور
للضرورة على قصر الممدود واستشهد ابو العباس احمد بن ولاد بما خرجه
من قول سيبويه بابه وافقا لو مساجد ومثاني كما قال الفرزدق

تنفي يداها الحصا من كل هاجرة … نفي الدراهم تنقاد الصياريف

من انا تلك زيادة كما ان هذه زيادة واكثر البصريين يمنع ذلك نحو صرف
غير المنصرف كما هو مبين في محله واما على الاحتمال الثاني فتقديره ولو كان

صحيحا لما انعت ببذل مالك لانه دليل الخوف والخشية فهو كالهدية المؤداة
هيبة لا رغبة فاجاب بالاستدراك المذكور كما يدل عليه قوله وصون عرض
المرء أن يبذل ما ضن به مما حواه وانتصا وهو احد المتنازعين وقريب
منه قول زهير في معلقته

ومن يجعل المعروف من دون عرضه … يفره ومن لا يتقي الشتم يشتم

وقول عمرو بن الاهتم السعدي

ذريني فان الشح يا ام هيثم … لصالح اخلاق الرجال سروق
ذريني وحطي في هواي فانني … على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
ذريني فاني ذو عيال تهمني … نوائب يغشى رزؤها وحقوق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى … وللحق بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها … ولكن اخلاق الرجال تضيق

وصون مبتدا مضاف الى عرض المتقدم بيانه مع بيان المرء المضاف اليه
وقصد بذلك بيان ما اجمل في البيت الاول ان يبذل بذل ما ضن به بالبناء
للمجهول اي ما جبلت النفوس على الضنة والبخل به مما حواه حازه ومن فيه
للبيان وانتصا بالصاد المهملة اختار وانتقى ونصب اختيارهم والمراد بذلك
اما حسن الخلق والصبر على المكاره او بذل المال على الاحتمالين السابقين
وبين البذل والضنة طباق وقوله والحمد خير ما اتخذت جنة وانفس
الاذخار من بعد التقى بمثل الثمرة المترتبة على ما ذكر من البذل وماخذه
قول الخنسا

نعف ونعرف حق القرى … ونتخذ الحمد ذخرا وكنزا

واكثر الشعراء من هذا المعنى قال عتبة بن بجير الحارثي بعد ذكر الجود

جعلناه دون الذم حتى كأنه   اذا عُدَّ مال المكثرين المانح
لناحد ارباب المجين ولا يرى   الى بيتنا مال مع الليل رائح

وقال الخنسا

يرى الحمد يهوى الى بيته   يرى افضل الكسب ان يحمدا

وقال لبيد

رايت التقى والبر خير تجارة   وذخرا اذا ما المرء اصبح ثاقلا

وقال عبد الصمد بن المعذل

ومن تكن الاوراق والتبر ذخره   فما كان غير الحمد يرغب في ذخره

وماخذ العجز قول الاخطل

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد   ذخرا يكون كصالح الاعمال

والحمد تقدم الكلام عليه عند الشكر وقع مبتدا وخبره خير ما شيء اتخذت جنة بضم الجيم سترة وعدة كما قال القايل

على حبه جنة   قسيم النار والجنة

والنفس ارفع واشرف اضيف الى الادخار بالذال المعجمة جمع ذخر وهو ما يدخره الانسان للقاعدة المشهورة في افعل التفضيل من انه لا يستعمل الا مضافا او بالالف واللام او بمن ولو تقديرا من بعده متعلق بالادخار وان كسر التقى والاصل وقي وفعله وقى ومنه التقوى والتقاة وهذا مما يمتحن به من يدعي معرفة كشف القاموس وما هو مرتب على ترتيبه من كتب اللغة حتى ان بعض الاكابر امتحن شخصا من طلبة العلم من اصحابنا في استخراج تقوى من القاموس فعجز وكان لذلك الرئيس خادما فطنا فاخذ الكتاب واستخرج منه المطلوب فتعجب الطالب وقوله وكل قرن

ناجم

ناجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بدا فيه عقد لقول الامام علي كرم الله وجهه الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم ولله در القائل حيث يقول

زماننا كاهله واهله كما ترى   وسيره كسيرهم وسيرهم الى ورا

وبالغ الساج الوراق في قوله

زعموا البيدا قال في عصره   وبقيت في خلف كجلد الاجرب
واراد اعدا خلفه من خلفه   جربا واعدا الدا كل مجرب
وتضاعف الجرب الذي عدواه لا   تنفك عن ماض ولا متعقب

فجعل الزمن كله بمنزلة عصر واحد في الفساد والناس كلهم بمنزلة خلف واحد هو اشبه بذلك الزمان واشار بقوله اعدا الى ما يقال ان ثلاث جيمات تعدي وهي الجرب والجدري والجذام وثلاث سينات كذلك وهي السل والسبل والسعال والكلام على تعارض الاحاديث في هذا الباب وهي قوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة وقوله صلى الله عليه وسلم فر من المجذوم فرارك من الاسد وقوله صلى الله عليه وسلم ان كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس طويل منتشر الاطراف في مظانه ومحصله ان الاول محمول على من يعتقد ان ذلك موثر بالذات كالاعرابي الذي قال ابلنا تكون كالظبا العفر فاذا دخلها البعير الاجرب اعداها حتى قال له النبي صلى الله عليه وسلم من اعدى الاول والثاني محمول على من يقصد الاجتماع بالمجذوم ويخشى تاثير ذلك بالخاصة على وقوع القدرة والارادة من الله تعالى حيث اجرى ذلك على سبيل العادة والثالث محمول على الدار بجار السوء والمرأة غير الولود والفرس التي لا يغزى عليها في سبيل الله تعالى ويدل لذلك ما اخرجه الطبراني عن اسما بنت يزيد بن السكن قالت

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شقاء المرء في الدنيا ثلاثة سوء الدار
وسوء المرأة وسوء الدابة قيل يا رسول الله ما سوء الدار قال صلى الله عليه وسلم
ضيق ساحتها وخبث جيرانها قيل فما سوء المرأة قال عقم رحمها وسوء خلقها قيل
فما سوء الدابة قال منعها ظهورها وسوء خلقها وقيل المراد الاخبار عن اعتقاد
الناس في ذلك لا انه خبر من النبي صلى الله عليه وسلم عن اثبات الشوم الى
غير ذلك من التاويلات ومن الامثال اشأم من طويس والمراد به طويس
المغني فانه ولد يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم توفي ابو
بكر الصديق وختن يوم قتل عمر رضي الله عنهما وتزوج يوم قتل عثمان وجاء له
ولد يوم قتل علي رضي الله عنهما او ولده الحسن رضي الله عنه على اختلاف
الروايات والتشام امر مركوز في الطبائع حكي عن ابي اسحاق انه كان جالسا
في اصحابه وقالوا يا ابا اسحاق هل لك في الخروج بنا الى العقيق والى قبا فات
هذا اليوم كما ترى فقال اليوم يوم الاربعا ولست ابرح من منزلي قالوا وما
تكره من يوم الاربعا وهو يوم ولد فيه يونس بن متى فقال بابي وامي صلى الله
عليه وسلم فقد التقمه الحوت قالوا فهو يوم نصر فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الاحزاب قال اجل ولكن بعد ان زاغت الابصار وبلغت القلوب
الحناجر وقال عبد الملك بن عمير الكوفي كنت عند عبد الملك بن مروان بقصر
الكوفة بدار الامارة حين جيء براس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرآني
قد ارتعت لذلك فقلت اعيذك بالله يا امير المومنين كنت بهذا القصر بهذا
الموضع مع عبيد الله بن زياد فرايت راس الحسين بن علي رضي الله عنهما بين يديه في
هذا المكان ثم كنت مع المختار بن ابي عبيد الثقفي فرايت راس عبيد الله بن
زياد بين يديه ثم كنت مع مصعب بن الزبير فرايت راس المختار بين يديه قال

فقال

فقال عبد الملك لا اراك الله الخامسة ثم قام من موضعه وامر بهدم ذلك
الطاق الذي كنا فيه وقال ابن خلكان في تعاليقه حكى ابو المجد قاضي السويدا
قال كان بالشام شاعران ابن المنير الطرابلسي وابن القيسراني وكان ابن
المنير كثيرا ما ينكت على ابن القيسراني بانه ما صحب احدا الا نكب فاتفق
ان اتابك عماد الدين زنكي صاحب الشام غناه مغن على قلعة جعبر وهو
محاصرها قول الشاعر

ويلي من المعرض الغضبان اذ نقل الواشي حديثا كله زور
سلمت فازور يثني قوس حاجبه كانني كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما زنكي وقال لمن هما فقيل لابن المنير وهو بحلب فكتب الى والي
يسيره اليه سريعا فليلة وصل ابن المنير قتل اتابك زنكي ولما دخل ابن
المنير الى حلب قال له ابن القيسراني ان هذه بتلك كنت تنكت به انتهى
قلت ابن منير هذا هو الشيخ مهذب الدين الطرابلسي المشهور كان من
كبار الشيعة وجنح الى ترك التشيع لما هاجر الى بغداد بسبب مزح الشريف
الموسوي نقيب الاشراف بها وكان الشريف ايضا من كبار الشيعة فلما
دخل بغداد جهز الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه تتر الذي سارت
الركبان بغرامه فيه فاخذ الشريف الهدية والمملوك فلما وصل الخبر الى
مهذب الدين بن منير اشرف على ذهاب روحه فكتب الى الشريف والى تتر
يقول

عذبت طرفي بالسهر واذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي من بعد بعدك بالكدر
وجفوت صبا ما له عن حسن وجهك مصطبر

يا قلب ويحك كم تخا … دع بالغزور وكم تغر
والى م تكلف بالغـــــنـــت من الظباء وبالأغر
ريم تفوق ان رنا … لك بسهم ناظره النظر
تركته اعين تركها … من باسهن على خطر
ورمت فاصمت عن قســـي لانباط بها وتر
مزجتك جرحاً لا تخيـ ـط بالخيوط ولا الابر
يلهو ويلعب بالعقو … ل عيون ابناء الخزر
فكأنهن صــو الج … وكأنهن له اكر
تخفى الهوى وتستره … وخفى سرك قد ظهر
افهل لوجدك من مدى … ينفضي اليه فينتظر
نفسي الغداء لشا دن … انا من هواه على خطر
رشاء تحاوله الخوا … طر ان تشنى او خطر
عذل العذول وما رآ … ه وحين عاينه عذر
قمر يزين بضوء صبح جبينه ليل الشعر
تدمي اللواحظ خده … فترى لها فيه اثر
هو كالهلال ملثما … والبدر حشان سفر
وبلاه ما احلاه في … قلبي الشجي وما امر
تومى المحرم بعده … ودبيع لذاتي صفر
بالمشعرين وبالصفا … والبيت اقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا … ف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسوي … ابن الشريف ابي مضر

ابدى الجحود ولم يرد … د الى مملوكي ثار
والى آل أمية الطــــهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر … ورجعت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا … بة بين جمع واشتهر
قلت المقدم شيخ تـــيم ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبى على … آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو … ل عن التراث ولا زجر
واثابها الحسنى وما … شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهـــيد بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته … جنح الظلام المعتكر
وقرات من اوراق مصــــحفه براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـــر بكل شعر مبتكر
وازور قبرهما وازد … جر من لحاني او زجر
واقول ام المؤمنـــين عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصــــلح من بنيها في زمر
واتت لتصلح بين جيــش المؤمنين على غرر
فاتى ابو حسن وســـل حسامه وسطا وكر
واذاق اخوتها الردى … وبعير امهم عقر
ما ضره لو كان كــــف وعف عنهم اذ قدر
واقول ان امامكم … ولى بصفين وفر
واقول انا اخطا معا … وية فما اخطا القدر

بكيت

صوابه المسلمين

هذا ولم يغدر معا   ويةً ولا عمروٌ مكر
بطل بسقائه يفا   تل لا يعبا رمه الذكر
وجنيت من رطب النوا   صب ما تمر واختمر   تمر
واقول ذنب الخارجين على علي مغتفر
لا اثار لعنا لهم   في النهروان ولا أثر
والاشعري بما يوول   اليه امرها شعر
قال انصبوا لي منبرا   فانا البري من الخطر
فعلا وقال خلعت صا   حبكم واوجز واختصر
واقول ان يزيد ما   شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن   ابنا فاطمة أمر
وحلقت في عشر المحر   م ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره   وصيام أيام أخر
ولبست فيه اجل ثو   ب للملابس يدخر
وسهرت في طبخ الحبو   ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا   فح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطر   يق اقص شارب من عبر
واكلت جرجير البقو   ل بلحم حبارى الحفر
وجعلتهم خير الانا   م كل في البوادي والحضر
وغسلت رجلي كلها   ومسحت خفي في السفر
وامين أجهر في الصلا   ة كمن بها قدما جهر   قبلي
واسن تسنيم القبو   ر لكل قبر محتفر

وإذا

وإذا جرى ذكر الغد   ير اقول ماصح الخبر
وسكت جلق واقتديت بهم وان كانوا بقر
واقول مثل مقالهم   بالاشعري يا قد فشر
مصطحبي مكسوفة   وفطيرتي فيها قصر
بقر ترى برئيسهم   طيش الظليم اذا نفر   نفر
وخفيفهم مستثقل   وصواب قولهم هدر
وطباعهم كطباعهم   جبلت وقدت من حجر   طبعت
واقول في يوم تحا   ر له البصائر والبصر   البصيرة
مايدرك التشبيب تغريد البلابل في السحر
والصحف ينشر طيها   والنار ترمي بالشرر
هذا الشريف أضلني   بعد الهداية والنظر
مالي مضل في الورى   الا الشريف ابو مضر
فيقال خذ بيد الشريف فمستقر كما سقر
لواحة تسطو فما   تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسيء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعلك واحتذر كل الحذر
والبكها بدوية   رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها   قس الفصاحة ما افتخر
وددت واتقن أنني   بحر الفاظي درر
وبديعتي كبديعة   عذراء ترفل في الحبر
حيّتها فغدت كزهر الروض باكره المطر

وإلى الشريف بعثتها … لما قراها فانبهر
رد الغلام وما استمر على الجحود ولا اصر
فانابني وجزيته … شكرا وقال لقد صبر

فلما وصلت الى الشريف ضحك وقال قد ابطا عليه فهو معذور وجهز المملوك مع هذا باحسنه فمدحه المهذب فقال

الى المرتضى حث المطايا فانه … امام على كل البرية قد سما
ترى الناس ارضا فى الفضايل عنده … وشخص الزكى الهاشمى هو السما

وكل قرن بفتح القاف وهو الامة من الناس ويطلق ايضا على ثلاثين سنة وعلى ثمانين وعلى مائة وقولهم هو على قرنه اى سنه ناجم ظاهر ومرتفع ومنه سمى النجم نجا فى زمن من الازمان فهو شبيه مشابه زمن فيه بدا ظهر ان خيرا فخير وان شرا فشر وقال مطرف عقول الناس على قدر زمانهم وذكر صاحب العقد الفريد ان متاخرى كل طبقة اكمل عقولا واحسن الفاظا واهدى طباعا وهو كما قال لان العلوم ما زالت تتهذب واللطائف ما برحت تتزايد من المتاخرين وقوله والناس كالنبت فمنهم رايق غض نضير عوده مر الجنا فيه من البديع الجمع بين التقسيم والتشبيه وايهام المتضادين بين المرارة وما قبلها من الصفات بالتلميح الى ما صرح به النبى صلى الله عليه وسلم مثلا لخبث المنبت مع حسن النبات وهو قوله صلى الله عليه وسلم اياكم وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء فى المنبت السوء وماخذ الناظم قول خالد بن صفوان

وما المرء الا الاصغران لسانه … امر مذاق العود والعود اخضر

وما الزين فى ناد تراه وانما … يزين الفتى مخبوره حين يخبر

والناس تقدم الكلام عليه كالنبت فيه تشبيه بعض المواليد من بعض وهى ثلاثة الانسان والحيوان والنبات اباؤها العلويات وامهاتها السفليات كما هو مقرر فى الحكمة فمنه قسم رايق معجب يروق الناظر غض من الغضاضة وهى الطراوة نضير ناعم عوده فيكون نعتا سببيا ولكنه مر الجنا بفتح الجيم ما اجتنى من الثمر وقوله ومنه ما تقتحم العين فان ذقت جناه انساغ عذبا فى اللها الاشارة الى القسم الثانى وهو ما حسن طعمه وان ردى ظاهره وحسن طعمه دليل على طيب منبته كما قال الشاعر

لا عذر للشجر الذى طابت له … اعراقه الا بطيب جناه

ومنه ما قسم تقتحم العين تزدريه فان ذقت ايها المخاطب على طريق العموم جناه انساغ تقدم الكلام عليه حال كونه عذبا طيبا فى اللها بفتح اللام جمع لهاة وهى اللحمة المشرفة على الحلق وتستعمل مجازا فى الفم واما اللهى بالضم فالدراهم حكى عن بعض الشعرا انه دخل على بعض الملوك فو (جده) يكرر قول المتنبى

اذا ظفرت منك العيون بنظرة … اثاب بها معيى المطى ورازمه
ويستحسن ذلك فانشده بديهة

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما … تجيد العطايا واللها تفتح اللها
تنبا عجبا بالقريض ولو درى … بانك تروى شعره لتالها

وبقى على الناظم قسمان احدهما ما راق عوده وطاب ثمره كما قال النبى صلى الله عليه وسلم المومن كالاترجة ريحها طيب وطعمها طيب وعقده ابن

الرومي بقوله

كأنكم شجر الاترج طاب معا ... حملا ونورا وطاب العود والورق

وثانيها ما خبث عوده وثمره كما قال بعضهم

فنذل الرجال كنذل النبا ... ت فلا للثمار ولا للحطب

ومضمون البيتين يشير الى انه لا عبرة بالظاهر في حالتي الحسن والقبح فانه كالثوب الذي لا يعلم ما تحته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم وقال صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يعبأ به لو اقسم على الله لابره وقال عباس ابن مرداس

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي اثوابه اسد يزير
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير
فما عظم الرجال لهم بفخر ... ولكن فخرهم كرم وخير
ضعاف الطير اطولها جسوما ... ولم تطل البزاة ولا الصقور
بغاث الطير اكثرها فراخا ... وام الباز مقلاة نزور
لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى ... فلا غير لديه ولا نكير
وان اك في شراركم قليلا ... فاني في خياركم كثير

وقوله يقوم الشارخ من زيغانه فيستوي ما انعاج منه واعتدال الشيخ ان قومته من زيغه لم يقم التثقيف منه ما التوى اشارة الى مدح الشباب والثنا عليه وعدم الرضا بالمشيب والمصير اليه حيث كان الاول قابلا

للعلاج

للعلاج بمباعدة المزاج والثاني لا دواء له غير الفنا لما فيه من فقد الهنا كما قال التهامي

وطوى من الدنيا الشباب وروقه ... فاذا انقضى فقد انقضت اوطاري

والبيت الاول راجع للقسم الاول اي ان ما كان راجعا غضا وان كان معوجا فهو قابل للتقويم واصلاح المزاج والبيت الثاني راجع للقسم الثاني اي ما تزدري صورته العين لكره وتقبح صورته وخلقه وان كان عذب الخلق فهو غير قابل لاصلاح خلقه وتعديله على طبق خلقه بموجب الكبر والهرم كما قال الشاعر

اتروض عرسك بعد ما هرمت ... ومن العناء رياضة الهرم

ولقد ظرف القاضي الفاضل في قوله

ما كان يحمل مدخلي ال ... حمام حتى ازداد قبه
فكأنني فيه خرو ... ف شوي ومن فوقي مكبه

فانه كان احدب قصيرا اوقص وخشي ان يتخيل عن هذا المعنى فيه فيهجوه به وحكى القاضي السعيد ابو المكارم اسعد بن خطير بن مماتي قال دخلت على القاضي الفاضل ووجدت بين يديه اترجة كبيرة مفرطة في الضخامة وهي من الاترج السكي فلما جلست احدقت اليها واتفق فكر وذهول فاخذ يقول يا مولاي الاسعد ما هذه الفكرة الطويلة ما انت الا متفكر الا في خلق هذه الاترجة وما فيها من التكبيل والتفويج وتعجب من المناسبة لها وكيف اتفق الجمع بيني وبينها فدهشت وانخلع قلبي خوفا ثم رجع الى خاطري فقلت له والله بل افكر في معنى وقع لي فيها ويسر الله تعالى ان نظمت فيها

لله بل للحسن اترجة ... تذكر الناس بامر النعيم

كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم
فاعجباه واستحسنها وانقطع الحديث واحسن من اعتذر عن الانحنا ابن فلح
حيث قال

قالوا انحنى كبرا فقلت سفاهة * لمقال من لم يتئد في قيله
سكن الحبيب شغاف قلبي ثاويا * فحنوت منعكفا على تقبيله

تقويم الشارخ الحدث السن المقتبل للشباب من زيغانه بسكون المثناة
التحتية بعد الزاي ميله واعوجاجه في خلقه حيث كان الشباب شعبة
من الجنون وعلى هذا يكون فيه استعارة مكنية لتشبيهه بالبدن المعوج
بجامع الانحراف عن الاعتدال وتخييلية باثبات التقويم وهو عبارة
عن غمزه وتليينه الى ان يعود للاستقامة وفي التعبير بالكل عن الجزء
مجاز مرسل ويستوي ما انعاج انعطف منه وانحنا بعد عدم
رطوبة الشباب لانها مادة الانفعال والاسنان عند الاطبا اربعة
سن الحداثة ويسمى سن النمو وهو من العمر الى ثلاثين سنة وسن الشباب
ويسمى سن الوقوف وهو الى خمس وثلاثين سنة وسن الكهولة وهو
الى قريب الستين وسن الشيخوخة وهو الى اخر العمر ثم سن الحداثة
ينقسم الى خمسة اقسام سن الطفولية وهو ان يكون المولود غير مستعد
الاعضا للحركة والنهوض وسن الصبي وهو بعد النهوض وقبل
الشدة وان لا يكون الاسنان قبل المراهقة وسن الرهاق وهو ان
يبلغ الى ان يبقل وجهه وسن الفتى وهو ان يبلغ الى نصف النمو وبرهان
ذلك مذكور في محله والشيخ وهو من تجاوز الستين كما تقدم ان
قومته اردت تقويمه من زيغه ميله واعوجاجه في خلقه وان

عذب

عذب خلقه لم يتم معظم اول التثقيف التقويم فيه ظرف متعلق بيتم ما التوا
تعوج ولا يصح ان يكون متعلق الظرف اما على جعل ما مصدرية فظاهر واما على
جعلها موصولة فلتقدم الصلة على الموصول والاستعارة فيه مثل الاول
ووجه عدم قبوله ان رطوبته ليست غريزية حتى تقبل الفعل وتعين عليه
بل هي رطوبة بالية متحصلة من عدم حسن الهضم وتصرف الهاضمة في الغذا على
ما ينبغي فهي لا تزال تتزايد حتى تقهر الحرارة الغريزية وتطفيها فيحصل
الموت ولا يخفى ما في البيتين من الطباق ومأخذه قول سابق البربري

قد ينفع الادب الاحداث في مهل * وليس ينفع بعد الكبرة الادب

وقوله كذلك الغصن يسير عطفه لدن شديد غمزه اذا عسا مأخوذ
من قول البربري ايضا

ان الغصون اذا قومتها اعتدلت * ولن تلين اذا قومتها الخشب

وقول غيره

يقوم بالثقاف العود لدنا * ولا يتقوم العود الصليب

ولكون البيتين قبله يعطيان حكم المشبه من التقويم وعدمه اورد
الناظم هذا البيت ليعطي حكم المشبه به اذ الغصن من جملة النبات كذلك
الغصن مبتدا وخبر والمشار اليه الحكم السابق في البيتين يسير سهل
عطفه كذلك لدن وهو حال امام الضمير المضاف اليه لكونه مفعولا في
المعنى والعامل فيها المصدر المضاف او من الغصن على راي سيبويه شديد
عسر غمزه كذلك ومن روى شديدا جعله حالا كالسابقة والغمز العصر باليد
اذا عسا بالعين والسين المهملتين صلب واشتد وبين اليسير والشديد
واللين والصلابة طباق بديعي والبيت مشتمل على المقابلة والموازنة قوله

من ظلم الناس تحاموا ظلمه وعز فيهم جانباه واحتمى شرع في الحكم البليغة وقد وردت حكم كثيرة مبدوءة بمن في الاحاديث النبوية ولعله ماخذ الناظم وحذا هذا الحذو ابو الحسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي الماجن الشاعر في قصيدته التي عارض بها الدريدية على وجه الهزل والمجون

قال

من لم يرد ان تنثقب نعاله … يحملها في كمه اذا مشى
ومن اراد ان يصون رجله … فلبسها خير له من الحفا
من دخلت في عينه مسلة … فاسأله من ساعته عن العما
من اكل الفحم تسود فمه … وراح صحن خده مثل الدجا
من صفع الناس ولم يدعهم … ان يصفعوه فعليهم اعتدى
من يشرب المسهل في وقت الدوا … يطال ترداده الى بيت الخلا
من اكل الكرش ولن يغسله … سال على شاربه ذات الخرا

الى ان قال فيها

من فاته العلم واخطاه الغنى … فذاك والكلب على حد سوا

قال بعضهم ان هذا البيت خير من الدريدية كلها فانه حكمة بالغة وماخذه قول زهير في معلقته

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه … يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

قيل ان اعرابيا من بكر بن وائل ظلم فقتل ظالمه فعنف فقال ما اسأت من قتل ظالمه فقيل له اتحب ان تلقى الله ظالما ام مظلوما فقال بل ظالما ما عذري غدا عند الله ان قال ما خلقتك مثل العير حتى تجي وتشكوا الي ومن امثالهم رهبوت خير من رحموت اي كونك ترهب خير من كونك ترحم من ظلم الناس

نقصهم

نقصهم حقهم والظلم مقابل الحكمة فانها عبارة عن وضع الشي في محله وهو عبارة عن وضعه في غير محله تحاموا تحاشوا وخافوا ظلمه من اضافة المصدر الى مفعوله اي ظلمهم اياه وبين الظلم وتحاميه طباق بديعي وعز فيهم ارتفع بسبب ذلك وفي رواية عنهم جانباه الايمن والايسر فذلك كناية عن جملته كما يفيده واحتمى هو فالتعبير بهما مجاز مرسل وقد يطلق الجانب على الجناب والحضرة والمقام والمقر والمجلس ويكنى به عن الشخص العظيم فوجه التشبيه حينئذ غير ظاهر ويحتمل ان المراد بجانبيه عشائره من جهة ابويه وانه بظلمه يحتمي ويعتز قومه فان قلت لا موافقة بين البيت وبين بيت زهير لان معنى البيت لا يعطي ظلمهم له عند عدم ظلمه لهم قلت بل يعطيه بالمفهوم المخالف المقرر بانه عند الاصوليين ويدل له قوله وهو لمن لان لهم جانبه اظلم من حيات انبات السفا ولقد صدق الناظم فيما قاله وابدع في مقاله فانه امر مشهود وعيان غير مجحود وفي معناه قول الارجاني

ما تلتقي اثنان منصفان معا … اذا اختبرت الانام كلهم
تظلم هذا فينصفوك اذن … تنصف هذا فيظلمون هم

ومراده بذلك مقابلة السيئة بالسيئة ليندفع المسي الاول عن اساءته ويرجع عن مظلمته والا فالظلم مرتعه وخيم وعقباه جحيم حكي عن ابن طولون انه لما ظلم استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة وشكوا عليها الشكوى فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا احمد بن طولون فلما نظر اليها ترجل عن فرسه واخذ الرقعة وقراها فاذا فيها ملكتم فاسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم

هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب اوجعتموها وكبود جوعتموها واجساد عريتموها فمحال ان يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فعدل لوقته وحكى عن يحيى بن خالد البرمكى انه كتب الى الرشيد لما سجنه وغضب عليه وعلى البرامكة كلهم

ستعلم فى الحساب اذا التقينا ۔ غدا عند الاله من الظلوم
سينقطع التلذذ من اناس ۔ اداموه وتنقطع الهموم
الا يا ايها الدنيا بدنيا ۔ غرور لايدوم بها نعيم
تخلّ من الذنوب فانت منها ۔ على ان لست ذا جسم سقيم
تنام ولم تنم عنك المنايا ۔ تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد فى دار التفانى ۔ وكم قد رام قبلك ما تروم

وهم اى الناس لمن ظرف متعلق بافعل التفضيل الآتى اى للذى لان من اللين ضد الخشونة لهم ظرف متعلق جانبه اظلم خبر المبتدا به اول البيت من حيات جمع حية وهى نوع من الافاعى شديدة السم واضافتها الى انبات جمع نبث وهو التراب المستخرج من البئر للمبالغة فى وصفها لكونها كالداء الدفين واما اضافة الانبات الى السفا فغير ظاهر لانه تراب البئر ايضا وواحده سفاه وفى البيت طباق وعقد للمثل وهو اظلم من حية وذلك لانها تجئ الى جحر غيرها فتدخله وتتغلب عليه ويقولون اظلم من افعى وذلك لانه لا يحفر جحرا وانما ياتى الى جحر غيره فيدخل فيه قال الشاعر

وانت كالافعى الذى لا يحتفر ۔ ثم يجى سادرا فتنجحر

وقولى

وقولى والناس كلا ان نحصت عنهم جميع اقطار البلاد والقرى عبيد ذى المال وان لم يطمعوا من غمره فى جرعة تشفى الصدا ناظر الى قول اوس بن حجر

بنو ادم ذا المال الكثير يرونه ۔ وان كان عبدا سيد الناس جحفلا

وفى الامثال العامة صاحب المال محبوب ولو كان عبد شى والفقير مبغوض ولو كان قرشى وما احسن قول بعضهم

اذا كنت ذا ثروة فى الورى ۔ فانت المسود فى العالم

وحكى عن المعز انه لما وصل الديار المصرية بعدما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر اجتمع به الاشراف فقال له من بينهم ابو عبد الله بن طباطبا العلوى الى من ينتسب مولانا فقال له المعز نعقد لكم مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز فى القصر جمع الناس فى مجلس عام ثم جلس لهم فقال هل بقى من رؤسائكم احد فقالوا لم يبق احد فسل عند ذلك نصف سيفه وقال هذا نسبى ونثر عليهم الذهب وقال هذا حسبى فقالوا جميعا سمعنا واطعنا وما زال هؤلاء الخلفاء بمصر يدعون الشرف ويقولون نحن من ولد فاطمة يريدون بذلك التبجح على بنى العباس خلفاء بغداد فيقولون ابونا على وامنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها والبيت الاول ليس من الدريدية فى كثير من الروايات والناس مبتدا كلا حال من ضمير يجمع فى العروض وقدمت لكونها من مجرور مثال ذلك قول الشاعر

لئن كان برد الماء حران صاديا ۔ الىّ حبيبا انه لحبيب

وقول الاخر

إذا المرء أعيته السيادة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

إن فحصت فتشت فتشا شديدا حتى تكشف عنهم في أحوالهم وديارهم جميع في كل أقطار البلاد نواحيها من ساير الجهات وتطلق البلد عرفا على المحل الذي به قاض وسلطان والقرى جمع قرية وهي ما كان دون ذلك والنسبة إليها قروي كما أن النسبة إلى البادية بدوي عبيد خبر المبتدأ أي مماليك ذي المال صاحبه كما تقدم والمال معلوم وسمي بذلك لأنه يميل من ناس إلى ناس فلهذا قال الشافعي رضي الله عنه وأما المال فهو غاد ورايح ولا يعتبره أهل البصاير فمن ثم لم يكن له دخل في الكفارة كما هو مقرر في الفروع الفقهية وحكي عن الملك الأشرف قايتباي رحمه الله رحمة الله أنه أراد التزوج بابنة بعض العلما فامتنع أبوها وعلل ذلك بعدم مكافاة السلطان لها فعقد السلطان مجلسا جمع فيه العلما وذكر الواقعة فقالوا له نعم وقربوا إلى فهمه ذلك بأنه كم من شخص بات فقيرا وأصبح ملكا ومن شخص أصبح ملكا وبات فقيرا ومثلوا له ذلك بجماعة كثيرين من الجراكسة فهان ما عنده ونقل ابن حجر العسقلاني في تاريخه أنبا الغمر بأنبا العمر أن شخصا من العسكر الجركسي كان بعد العصر وهو في غاية من الضيق والتعب لم يملك ما يقوته تلك الليلة فبينما هو كذلك إذ مات السلطان وأجمع العسكر على أن يقام هذا الشخص مقامه فطلبوه فوجدوه وصعدوا به إلى القلعة وأجلسوه على سرير الملك وكل ذلك قبل غروب الشمس فأرسل إلى الشيخ وذكر له جميع ذلك وقال له أثبته في تاريخك وإن وصلية أي على أنهم لم يطعموا من غمره كثير ماله على طريق الاستعارة من كثير مائه في جرعة وتقدم معناها تشفي بفتح أوله يبري الصدا العطش تشبيه

بالجمع

بالجمع أو العلة على أسلوب المكنية المختيل لها بالبر الحاصل بكل منهما الطباق البديعي فلو طمعوا لكانوا عبيدا له من باب أولى والحكمة في ذلك أعزازها عنده من الحجرين اللذين جبلت القلوب على محبتهما ويؤيد ذلك ما يحكى عن بعض أهل المجون أنه سئل عن وجه محبته لغني بخيل فقال كيف لا أحبه وحبيبي عنده أو وهو محب لحبيبي ومحبوب له وحبيب الحبيب حبيب وقيل

إذا رأيت صعوبة في مطلب ... فاحمل صعوبته على الدينار

وابعثه فيما تشتهيه فإنه ... حجر يلين ساير الأحجار

وقوله وهم لمن أملق أعداء وإن شاركهم فيما أفاد وحوى صدره مأخوذ من قول الشاعر

يطلب الغنا عن صاحبي ليحيني ... إن الفقير إلى الغني بغيض

وعجزه مأخوذة من قول عروة بن الورد

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليه ... وإن أمسى له كرم وخير

وهم لمن أملق افتقر أعداء لأن خصيصة الفقر البغض عند الناس وإن وصلية أي على أنه لو شاركهم جعل نفسه شريكا لهم فيما في الذي أفاده كسبه وحواه حازه في أيام غناه السابقة أو في الحال حيث كان كسبه لا يخرجه عن حد الفقر فإن الفقير هو الذي يكسب ما يقع موقعا من كفايته فلو لم يجعل نفسه شريكا لهم بأن لم ينلهم منه شي فالعداوة من باب أولى فإن قلت مفهوم قوله وإن شاركهم هو عدم مشاركته لهم بأن يخصهم بجميع ذلك فلا فلا تلزم الأولوية قلت المراد شاركهم أي جعلهم شركا له في ماله وإنما عدل لذلك للمبالغة في كرمه حيث أنه نزل ماله منزلة مالهم ونزل نفسه منزلة

الاجنبي الطارى بشوكته لهم فالاولوية لازمة كالا يخفى ومما ذكرنا يظهر بطلان
قول بعض الشارحين ان ان الشرطية وجوابها محذوف يدل عليه المتقدم
عليها فان قلت ما سبب العداوة اذا شاركهم وهلا استحق المدح بذلك
منهم كما قال الشاعر

الناس اكيس من ان يمدحوا رجلا ... حتى يروا عنده اثار احسان

وكما ورد في السنة جبلت القلوب على حب من احسن اليها قلت حيث كان مناط
العداوة فقره ومناط المحبة غناه فلا ورود للسوال فانهما بمنزلة العامل بالخاصية
على ان المدح في البيت لا ينافي العداوة فان الانسان قد يمدح عدوه ايضا
وقوله عاجمت ايامي وما الغر كمن تازر الدهر عليه واتدا ناظرا الى قول
الشاعر

لقد عجمت مني الحوادث ماجدا ... عروفا لريب الدهر حين يريب

وممارسة الدهر كاشفة عن حقيقته حكى عن الرشيد انه قال لو وصفت الدنيا
نفسها ما ازدادت على قول ابي نواس

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت ... له عن عدو في ثياب صديق

ومقصود الناظم الاشارة الى فساد الايام والزمان بدليل ما سياتي في كلامه
وقد اجاد البديع الهمداني حيث قال مجيبا عن رسالة في ذم الزمان كتب
بها اليه استاذه ابو الحسن فارس صاحب المجمل في اللغة نعم اطال الله بقاء
الشيخ انه الحماء المسنون وان ظننت كل الظنون والناس لادم وان
كان العهد قد تقادم فلا تقل فسد الزمان فمتى كان صالحا افي الدولة
العباسية وقد سمعنا اولها ورأينا اخرها ام في الدولة المروانية وفي اخبارها
ما يكفي السائل عن اغبادها ام الايام الاموية والنفير الى الحجاز والبعوث على

الاعجاز ام في السنين الحربية والسيف يعمل في الطلا والرمح يركز في الكلا
ام البيعة الهاشمية والعشرة براس من بني فراس ام الامارة العدوية وصاحبها
يقول وهل بعد النزول الا النزول ام في الخلافة التيمية وهو يقول
طوبى لمن مات في بانات الاسلام ام على عهد الرسالة ويوم الفتح قبل اسكتي يا فلانة
فقد ذهب الامانة ام في الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش في اكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الاجرب

ام قبل ذلك واخو عاد يقول

بلاد بها كنا ونحن باهلها ... اذ الناس ناس والزمان زمان

ام قبل ذلك ويروى عن ادم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الارض مغبر قبيح

ام قبل ذلك وقد قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ما فسد الناس
وانما اطرد القياس ولا اظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد
الشيء الا عن صلاح ويمسي المرء الا عن صباح انتهى عاجمت بلوت
ايامي زماني ودهري وقاسيتها في حالة السراء والضراء فرايته كما اصفه
بعد ذلك وما الغر الذي لم يجرب الامور ولم يمارس تصاريف الدهور
كمن وارادة نفسه اي كالذي تازر جعل الدهر الازار وهو ثوب يجعل
على الكتفين مسبولا الى منتهى الظهر لكان ابلغ وفي البيت استعارة مكنية
حيث شبه الدهر بالرجل صاحب الحزم وتخييلية باثبات التازر والتردي له
ومبالغة بديعية حاصلة من جعل الدهر هو المتازر على الشخص دون العكس
الذي اشار عليه اليه الشاعر

اذا ما لبست الدهر مستمتعا به ... تخرقت والملبوس لم يتخرق

وقال بعض الشارحين ان بيت الناظم مبني على القلب والمراد تازر على الدهر كقولهم اكل الدهر عليه وشرب وكابيت المذكور عدول عن جادة البلاغة وقصور نظر عن هذه المعاني المصاغة وقوله **لا يرفع اللب بلا جد ولا يحطك الجهل اذ الجد علا** ماخوذ من قول الشاعر

عش بجد ولا يضرك نوك ... انما عيش من ترى بالجدود
عش بجد وكن هبنقة القيسي ... او شيبة بن الوليد

وهذا المعنى ولع به الشعرا كثيرا قال ابو العلا المعري

لا تطلبن بغير حظ رتبة ... قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما ... هذا له رمح وهذا اعزل

وقال المتنبي

هو الجد حتى تفضل العين اختها ... وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

وقال ابن قلاقس

ولست ترى في محكم الذكر سورة ... تقوم مقام الحمد والكل قرآن

وقال ابو اسحاق الغزي

والحسن والقبح قد تحويهما ... شان البياض وزين الشيب والشبا
ظبا المجارف اقلام مكسوة ... رؤسهن واقلام السعيد ظبا

وله ايضا قال

لا تغبطن الزمان ذهب ... ينوب ليث العرين من نوبه
فالحول لولا الجدود ما قصرت ... ايدي جاداه عن علا رجبه

وقال الصفدي

لئن رحت مع فضلي من الحظ خاليا ... وعز على نقص به قد غدا حاليا

فاني

فاني كشهر الصوم اصبح عاطلا ... وطول هلال العيد في جيد شوال

وقال ابن قلاقس

لولا الجدود لما رمت بمسافر ... كف الغنى وتعلقت بمقيم
والحظ حتى في الحروف موثر ... تختص بالترقيق والتفخيم

وقال ابن عنين

كاني في الزمان اسم صحيح ... جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد في بنيه كواو عمرو ... وملغى الحظ فيه كراء واصل

وقال السراج الوراق

الباء والخاء من بخت قد افترقا ... بالباء والخاء من بخل لانسان (لعله اتفقا)
واللام والتاء من هذا وذاك هما ... لب المسائل عن اسباب حرماني

وقال القيرواني

اذا اصحب الفتى جد وسعد ... تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد ... طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء ... وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وقال ابن النقيب

لو لحن الموسر في مجلس ... لقيل عنه انه يعرب
ولو فسا يوما لقالوا له ... من اين هذا النفس الطيب

وما احسن قول القاضي الفاضل

واذا السعادة لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن امان
واصطد بها العنقاء فهي حبائل ... واقتد بها الجوزا فهي عنان

وقول ابي العلا المعري

اذا انت اعطيت السعادة لم تُبَل ، وان نظرت شزرا اليك القبائل
وان فوق الاعداء نحوك اسهما ، تثنتها على اعقابهن المفاصل

حكى ان بعض المطربين غنى عند بعض الامرا الاعاجم بهذين البيتين فلما اطربه طلب له قباء يلبسه اياه ولم يفهم المغنى الطلب فذهب الى بيت الخلاء فى غيبته وصل القبا وحصل فى المجلس عربدة وامرا الامير باخراج الجميع فقيل للمغنى ذلك فى اثناء الطريق فلما كان بعد ايام حضر عند ذلك الامير وغنى اذا انت اعطيت السعادة لم تَبُل بفتح التاء الفوقانية وضم الموحدة فانكروا عليه فقال فى ذلك اليوم لما بلت فاتتنى السعادة من الامير فاوضحوا القصة للامير فاعجبه ذلك وامر له به وقول ابن نباتة السعدى

الا فاخش ما يرجى وجدك هابط ، ولا تخش ما يخشى وجدك رافع
فلا نافع الا مع النحس ضائر ، ولا ضائر الا مع السعد رافع

ولله در بعضهم حيث يقول

واذا استقام الدهر يوما للفتى ، اغنت سعادته عن التنجيم

وقال القيروانى

ونجوم كاسات طوالع بالمنى ، والسعد يستغنى عن التنجيم

حكى عن الوزير عون الدين بن هبيرة انه قال الناس يتشاءمون بالتربيع وانا وليت الوزارة يوم الاربعاء رابع ربيع الاول سنة اربعة واربعين وخمسماية فقال لابن الفضل ان تبركت بى فنحن نتشاءم به وما الطف قول عبد القدوس

وليس رزق الفتى من حسن حيلته ، لكن حدود بارزاق واقسام

كالصيد

كالصيد يحرمه الرامى المجد وقد ، يرمى فيرزقه من ليس بالرامى

حكى عن الرشيد انه سال جعفر عن جواريه فقال يا امير المومنين كنت فى الليلة الماضية مضطجعا وعندى جاريتان وهما يكبسان فتناومت لانظر صنيعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يدها الى ذلك الشى فلعبت به فانتصب قائما فوثبت المكية وقعدت عليه فقالت المدنية انا احق به لانى حدثت عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من احيى ارضا ميتة فهى له فقالت المكية وانا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الصيد لمن اثاره انما الصيد لمن اقتنصه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه وقال هل من سلوة منهما فقال هما ومولاهما بحكم امير المومنين وحملها اليه وقريب من هذه الحكاية ما حكاه عيسى بن ابان قال كنت عند المامون فاستاذنته فى الخروج الى البصرة لعيالى فقال انا اشوق منك الى عيالى ولكن وجه اليهم فيحملوا ثم خرج الخادم على راسه واقبل غلام لا نبات بوجهه فسلم عليه فقال مرحبا فاجلسه على فخذه اليمنى واقبل اخر فاقعده على فخذه الاخرى فجعلت انظر اليهما والى حسنهما فقال يا عيسى بما ترى ان ابدا فقلت اعيذ امير المومنين بالله فقد نزهه الله عن هذا وصانه فقال يا عيسى ليس هذا الذى ذهبت اليه انهما جاريتان اشتهيتهما فى زى الغلمان قلت امير المومنين اعلم عنيا ، فقالت الاولى والله يا عيسى ما تحسن الحكومة الم تسمع قوله تعالى والسابقون الاولون فبقيت متحيرا وتمنيت انى كنت اهتديت الى ما قالت بجميع ملكى ثم قالت الاخرى والله ما تبصر فى الحكومة شيئا الم تسمع قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى فتركتهما معه وخرجت ،

ومما يناسب ما نحن فيه ما حكي عن الملك الافضل المتادب البارع النور علي بن
السلطان صلاح الدين يوسف من أنه ملك بعد ابيه بدمشق فالبث ان حضر
اليه عمه ابوبكر العادل واخوه عثمان العزيز فاخرجاه من ملكه بدمشق
فكتب الى الناصر ببغداد

مولاي ان ابا بكر وصاحبه ۔ عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي ۔ من الاواخر ما لاقى من الاول

فكتب اليه الناصر يقول

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا ۔ بالصدق يخبر ان اصلك طاهر
غصبوا عليًّا حقه اذ لم يكن ۔ بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدًا عليه حسابهم ۔ وابشر فناصرك الامام الناصر

لا يرفعك وفي رواية ينفع والاولى اولى لما فيه من الطباق بينه وبين يحط
الآن اللب بضم اللام العقل والمراد به العلم اما مطلقا او بتصاريف
الدهر المشار اليه في البيت السابق بلا بدون جد بفتح الجيم وقد سلف معناه
ولا يحطك بتركك الجهل ضد العلم وينقسم الى بسيط ومركب فالبسيط عدم العلم
بما شانه ان يعلم والمركب هو البسيط بزيادة كون الشخص يجهل انه يجهل والاول
اخف كما قال بعض الشعرا

قال حمار الحكيم يوما ۔ لو انصفوني لكنت اركب
لانني جاهل بسيط ۔ وراكبي جهله مركب

وقد تتعدد المراتب في الجهل كما قال ابو الطيب المتنبي

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ۔ ويجهل علمي انه بي جاهل

اذا الجد علا ارتفع وسما قال ابو الحسين الجزار

اشكو لعدلك جور دهر جائر ۔ فضلت به فضلاؤه الجهال
منعت به عقلاؤه وقد قسمت ۔ بالجور في انعامه الانفال

وما الطف قول الجمال بن نباته

يا سيدي عطفا على متألم ۔ يشكو وفي الايام حظا باسطا
لو جار يكتب حظه متحردا ۔ ما جار ذاك الحظ الا ساقطا

ولابن النقيب

وقالوا لماذا يكتب الخط كاتب ۔ جهول بظلما الجهالة خابط
فقلت بظار فاكتبوا الخط قائما ۔ سوى شوم حظي وحده فهو ساقط

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما راح به الواعظ يوما او غدا ماخوذ من
قول عدي بن زيد

كفى واعظا للمرء ايام دهره ۔ يروح له بالواعظات ويغتدي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ۔ فكل قرين بالمقارن يقتدي

وتصاريف الدهر توقظ ارباب البصائر وتهدي الى الطريق كل حائر حكي
عن المعتمد بن عباد لما جار عليه الدهر واعتدى فيما راح به وغدا ان ابا بكر
ابن اللبانة رأى ولده فخر الدولة وهو في دكان صايغ يعمل صناعة فقال فيه
من جملة قصيدة

اذكا القلوب اسًى اجرى العيون دمًا ۔ خطب وجودك فيه يشبه العدما
وعاد كونك في دكان قارعة ۔ من بعد ما كنت في قصر حكى ارما
صرفت في آلة الصياغ انملة ۔ لم تهو الا الندا والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها ۔ فتستقل الثريا ان تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له ۔ حليا وكان عليه الحلي منتظما

للنفخ فى الصور هولا ما حكاه سوى   هول رايتك فيه تنفخ النعما
وددت ان نظرت عينى اليك به   لو ان عينى تشكو قبل ذاك عما
لح فى العلا كوكبا ان لم تلح قمرا   وقم به ربوة ان لم تقم علما
واصبر فربتما احمدت عاقبة   من يحمل الصبر يحمد غب ما لزما
والله لو انصفتك الشمس لانكسفت   ولو وفى لك دمع الغيث لانسجما

ولا ريب فى ان هذه القصة عبرة لمن يعتبر وتذكرة لمن تذكر ومثلها قصة البرامكة وهى مشهورة متداولة ويدل عليها اجمالا ما كتبه يحيى بن خالد البرمكى وهو فى السجن الى الرشيد يستعطفه وهو هذا

قل للخليفة ذى الصنـ   ـيع والعطايا الفاشيه
وابن الملائف من قريـ   ـش والملوك العاديه
راس الامور وخير من   ساد الامور الماضيه
ان البرامكة الذيـ   ـن رموا لديك بداهيه
عمتهم لك سخطة   لم تبق منهم باقيه
فكانهم مما بهم   اعجاز نخل خاويه
صفر الوجوه عليهم   خلع المذلة باديه
متضعفون مطردو   ن بكل ارض قاصيه
من دون ما يلقون من   عيب يشيب الناصيه
اضحوا وجل رضاهم   منك الرضا والعافيه
بعد الوزارة والاما   رة والامور العاليه
انظر الى الشيخ الكبيـ   ـر فنفسه لك راجيه
اوما سمعت مقالتى   ياذا الفروع الزاكيه

ما زلت

ما زلت ارجو راحة   فاليوم خاب رجائيه
واليوم قد سلب الزما   ن كرامتى وبهائيه
القى الزمان جرابه   مستنقيا بقضائيه
ورمى سواد مقاتلى   فاصاب حين رمانيه
يا من يود لى الردا   يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك انى مستباح   معشرى ونسائيه
يكفيك ما ابصرت من   ذلى وذل مكانيه
وذهاب مالى كله   وفد الخليفة ماليه
ان كان لا يكفيك الا   ان اذوق حمامية
فلقد رايت الموت من   قبل الممات علانيه
وفجعت اعظم فجعة   وفنيت قبل فنائيه
وهويت فى قعر السجو   ن على رفيع بنائيه
انظر بعينك هل ترى   الا قصورا خاليه
وذخائرا موروثة   تقسمن قبل مماتيه
ونوادبا يدعوننى   تحت الدجا بكنا سيه
يا ابا على البرمـ   ـكى فما اجبت الداعيه
ونداهن وقد سمعـ   ـت مقلقلا احشائيه
اخليفة الله الرضى   لا تشمتن اعدائيه
واذكر مقاساة الامو   ر وخدمتى وعنائيه
ارحم حملت لك الفدا   كربى وشدة ما بيه
وارحم اخاك الفضل وا   لباقين من اولاديه

اخليفة الرحمن انك … لو رأيت بنا نيه
وبكاء فاطمة الكبير … ة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع … ياشقوتي وشقائيه
من لي وقد غضب الإما … م على جميع رجاليه
وعدمت طيب معيشتي … وتغيرت حالاتيه
يا نعمة الملك الرضي … عودي علينا ثانيه

ولم بعد ذلك بل كتب اليه الرشيد تحتها هذه الابيات

اجرى القضاء عليكم … ما جنتموه علانيه
من ترك نصح امامكم … عند الامور البادية
يا آل برمك انتم … كنتم ملوكا عاديه
فكفرتم وعصيتم … وجحدتم نعمائيه
هذه عقوبة من عصى … معبوده وعصانيه

من لم يعظه بذكره الدهر بتقلبه بالدول وتصرفه في الاول لم ينفعه في الاتعاظ ماراح به الواعظ وهو من يعظ القصص ويذكر الازمان الماضية والدول الخالية اي ما اتى به يوما في آخره الدال على راح او في اوله الدال عليه غدا وذلك لان المشاهدة ابلغ من السماع والتجربة في النفس اتم من التجربة في الغير على ان الوعظ لا يؤثر في القلوب الا اذا صدر عمن هو متلبس مضمونه حكي عن بعض الوعاظ انه كان ما يعظ الناس بشيء الا اتعظوا فكان يحضره ناس كثيرون فاستمر مدة على تلك الحال الى ان سأله شخص ان يتكلم في العتق فما فارق مجلسه حتى عتقت الوف من الرقاب فقيل له في تاخره تلك المدة فقال اني لا اعظ بشيء حتى اتلبس به فلذ يؤثر في القلوب وسكت هذا السؤال ولم يكن عندي من اعتقه فاقمت هذه المدة

لعله عليه

لك

اتكب

٥٤

اتكب حتى حصلت ما اشتريت به رقبة اعتقته فاجبت السائل بسؤاله وقيل في هذا المعنى

والوعظ لا ينفع من واعظ … ما لم يكن في قلبه أثر

وقوله من لم تفده عبرا أيامه كان العمى اولى له من الهدى ماخوذ من قول ابي عيينة

ما راح يوما على حي ولا ابتكرا … الا رأى عبرة فيه ان اعتبرا
ولا مضت ساعة في الدهر فانصرفت … حتى تؤثر في قوم لهم أثرا
ان الليالي والأيام لو سئلت … عن عيب انفسها لم تكتم الخبرا

من لم تفده تكسبه عبرا جمع عبرة بكسر الأول التفكر فيما مضى أيامه التي هو فيها كان العمى وهو عدم البصر عما من شانه ذلك والمراد بها عمى البصيرة بدليل قوله أولى به من الهدى وهو ضد الضلالة ومنه قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى الاية وفي الجمع بينهما طباق بديعي وتشبيه الايام بالمفيد استفادة مكنية وذكر الافادة تخييل والعبر ترشيح وقوله من قاس ما لم يره بما رأى أراه ما يدنو اليه ما نأى ماخوذ من قول الشاعر

فتش بالتجارب احداث الزمان كما … تقيس نعلا بنعل حين تحذوها

وقال غيره

يرى فلتات الدهر والرأي مقبل … كأن له في اليوم عينا على غد

وما احسن قول ابي الطيب المتنبي

نفت التوهم عنه حدة ذهنه … فقضى على غيب الامور يقينا

وقول احمد بن نعاده

العلم للاعلام اقوى ناصب … والرأي للرايات اثبت حامل

ولربما علم المغيب من له ... فهم صحيح باتضاح دلائل
واخو الحجا بالعقل منه يستدل ... على اواخر امره باوائل

ولابن المعتز

واسامني الدهر عضبا مهندا ... يفل شبا الخطي وقلبا مشيعا
ورأيا كمرآة الصناع اراته ... سرائر غيب الدهر من حيث ما معا

حكي عن ابي خليفة رئيس الاطباء بمصر في زمن الكامل انه اتت اليه امرأة من الريف ومعها ولد مريض فوضع يده على نبضه وقال للغلام ناولني الفرجية فتغير النبض تحت يده في الحال فقال هذا الغلام يعشق واحدة اسمها فرجية فقالت أمه نعم يا مولاي انا والله لقد عجزت في عذله فتعجب الحاضرون من قاس من القياس وهو حمل مجهول على معلوم في الحكم لعلة جامعة بينهما وله افراد مبسوطة في اصول الفقه وهو من الحجج الشرعية والحنفية تعتمد على المذهب الضعيف وعلى الاثر فلذا سموا اهل الرأي ولله در الحافظ ابي محمد بن حزم حيث قال

من عذيري من اناس جهلوا ... ثم ظنوا انهم اهل النظر
ركبوا الرأي عنادا فسروا ... في ظلام تاه فيه من عبر
وطريق الرشد نهج متبع ... مثلما ابصرت في الافق قمر
وهو الاجماع والنطق الذي ... ليس الا في كتاب او اثر

وقال غيره من قصيدة

ان كنت كاذبة التي حدثتني ... فعليك اثم ابي حنيفة او زفر
الواثبين على القياس تمردا ... والراغبين عن التمسك بالاثر

ولقد اساء في ذلك غاية الاساءة وبذكر القياس ذكرت ما حكي عن الشريف

الفاسي

الفاسي انه لما دخل مكة وماجت عليه طلبة العلم بانه صار يعول على الادلة والقياس فهجاه بعضهم بقوله

انا ناطالب من ارض فاس ... يطالب بالدليل وبالقياس
وما يعزى الى فاس ولكن ... فسا نفسو فسا فهو فاسي

عالم بره من الامور بما رآه منها اراه يدنو مما يقرب اليه مما رآه ما نأى بعد عنه بما لم يره اما في الماضي او في المستقبل كما قال الشاعر

ويعرف وجه الحزم حتى كأنما ... تخاطبه من كل امر عواقبه

وفي الجمع بين الرؤية وعدمها والقرب والنأي طباق بديعي وتشبيه الداني بالدليل الذي يطلع الطالب على المطلوب استعارة مكنية وكونه يدنو ترشيح تخييلا وقوله من ملكت الحرص القياد لم يزل يكرع في ماء من الذل صدا ماخوذ من قول ابي العتاهية

اذل الحرص اعناق الرجال

وهذا محمول على الحرص للجمع والا فالحرص للتفريق محمود كما قيل

اذا انا لم اجد في كسب مال ... هات بالله قل لي كيف اجود
واذا لم اسد خلة حر ... هات بالله قل لي كيف اسود

وما احسن ما عبر به ابن الجهم عن جمع المال لطلب الانفاق بقوله

وما تجمع الاموال الا لبذلها ... كما لا يساق الهدي الا الى النحر

ولله در ابي الحسن الجزار في قوله

اذا كان لي مال على م اصونه ... وما ساد في الدنيا من البخل دينه
ومن كان يوما ذا يسار فانه ... خليق لعمري ان يجود بيمينه

وقال المتنبي

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها … سرور محب او اساءة مجرم

قال ابوذر رضي الله عنه انما مالك للحادث او للحادث او للوارث فلا تكن اعجز الثلاثة وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يكسب المال ليكف به وجهه ويصل به رحمه **من ملك** بالتضعيف اي جعل **الحرص** وهو الاجتهاد في طلب كل مرغوب فيه مالكا **القياد** وهو الحبل الذي يقاد به **لم يزل** دائما **يكرع** من الكرع وهو تناول الماء بالفم ويستعمل بمعنى الخوض وهو الانسياب اي خائضا **في ماء من الذل** ضد العز **صدى** بفتح الصاد المهملة وبكسرها الماء الذي طال مكثه وفعله صدا كعلى وتشبيه كل من الحريص بالدابة والحرص بالقايد لها المتصرف فيها استعارة مكنية واثبات القياد تخييلية والتمليك ترشيح وقوله **من عارض الاطماع باليأس رنت اليه عين العز من حيث دنا** ناظر الى قول بعضهم

لا تطمعن الى ما لست تملكه … وان بليت باقلال وافلاس

لا يلبس المرء ثوبا شرا من طمع … ولا تحلى بمثل الصبر واليأس

وفي البيت تلميح الى قوله صلى الله عليه وسلم الغنى اليأس مما في ايدي الناس وقد تقدم لك انه احدى الراحتين ومن كلام ابن سنا الملك سئمت من معانقة الآمال ومضاجعة الاماني وبرمت بمعناه من عناني واعياني وملكت من صحبة الانتظار الذي اصماني واضناني ورثيت لعيني من رؤية من يراني وكأنه ما يراني وعزمت على ان اتخلى واستريح واسير واسيح واسكن الى كل راحة واقنع بكل ريح واضع يدي في يد الزمان واطلب منه الأمان واتوب من التحديق اليه فانه سبب الحرمان فالامور مقدرة والدنيا مذكرة والاشياء لها غايات وللحاجات اوقات وحكى عن الخليل بن احمد انه جاءه رسول الخليفة يطلبه وهو جالس يبل خبزا يابسا في ماء فان انتقع اكله فقال

له

له الرسول اجب امير المؤمنين فقال ما دام لي هذا لا احتاج اليه وحكى عنه ايضا انه كان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب والي فارس والاهواز فكتب اليه يستدعي حضوره فكتب اليه الخليل جوابه

ابلغ سليمان أني عنه في سعة … وفي غنى غير اني لست ذا مال

سخى بنفسي أني لا ارى احدا … يموت هزلا ولا يبقى على حال

الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه … ولا يزيدك فيه حول محتال

والفقر في النفس لا في المال تعرفه … ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فقطع عنه الراتب فكتب اليه يقول

ان الذي شق فمي ضامن … رزقي حتى يتوفاني

حرمتني مالا قليلا فما … زادك في مالك حرماني

فلما بلغته الابيات اقامته واقعدته وكتب اليه يعتذر وضاعف راتبه وحكى عن بعض الشعرا انه قصد هشام بن عبد الملك بالشام ليمتدحه فلما وصل اليه قال له انت فلان قال نعم يا امير المؤمنين قال له الست القائل

لقد علمت وما الاسراف من شيمي … ان الذي هو رزقي سوف ياتيني

اسعى اليه فيعييني تطلبه … ولو قعدت اتاني لا يعييني

فاتيك الى الشام تطلب الرزق فقال لقد اذكرتني يا امير المؤمنين ما انسانيه الدهر وخرج من عنده وركب راحلته متوجها الى مكة فلما كان الليل خطر ببال هشام ان هذا شاعر لا يؤمن لسانه فامر له في الحال من يلحقه بعشرة الاف درهم فادركه البريدي عند وصوله الى داره فاسلمه الدراهم فقال له سلم على الخليفة وقل له هل صح قولي اسعى اليه البيت وبذكر تخوف هشام من لسان شاعره ذكرت ما حكي عن الملك المعظم عيسى من انه حضر الشعرا عنده يوما وفيهم شرف

الدين بن عنين فقال لهم لابد ان تهجوني في وجهي فقبلوا الارض واستغفروا من
ذلك فألح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ما قد ذكرنا لشخص   قط الا ودام ان لا يرانا

فقال السلطان صدقت فقال شعرنا يشبه الخرا فقال السلطان صدقت قال
فهل ذقت الخرا قال السلطان لا والله قبحك الله فقال الطف بناك لحانا
فقال السلطان امين ومجموع هذه الحكاية

شعرنا يشبه الخرا وهل ذقت الخرا الطف بذاك لحانا

وحكي عن الاديب ابي عمرو النميري انه انشد في حلقته ابيات ابن الرومي التي
جعلها في خباز رقاق واودعها التشبيهات العقم قال

لم انس بالامس خبازا مررت به   يدحو الرقاقة وشك اللمح والبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة   وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة   في صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

فقال بعض تلامذته ما اظن على انه يقدر على الزيادة فيها فقال

فكدت اضرط اعجابا برؤيتها   ومن رأى مثل ما ابصرت منه خرى

فضحك من حضر وقالوا البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتي هذا ليس يعجبكم   فبدلوه او فالعقوه طري

وفي الحقيقة ان الشاعر لا يعجزه شيء ومن اراد الوقوف على ذلك فلينظر الى
ابيات ابن الرومي التي في هجو القمر المجمع على حسنه وهي هذه

لو اراد الاديب ان يهجو البد   ر رماه بالخطة الشنعاء
قال يا بدر انت تغدر بالسا   ري وتغري بزورة الحسناء
كلف من بياض وجهك يحكي   نمشا فوق وجنة برصاء

يعتريك

يعتريك المحاق في كل شهر   فترى كالقلامة الحجناء

وقال غيره

يا سارق الانوار من شمس الضحى   يا مثكلي طيب الكرى ومنغصي
لم يظفر التشبيه منك بطائل   متلمعا برصا كجلد الابقع

وقال ابن سنا الملك

ليل الحمايات بدري فيك معتنقا   وبات بدرك ملقى على الطرق
شتان ما بين بدر صيغ من ذهب   وذاك بدري وبدر صيغ من بهق

وللمتنبي في ذم الشمس

في خلقة الشمس واخلاقها   شتى عيوب سنة تذكر
من صبحها النور لامسائها   تغاير الاشكال لا تفتر
رمداء عمشاء اذا اصبحت   عمياء عند الليل لا تبصر
ويقتدي البدر لها كاسفا   وجرمه من جرمها اصغر
حرورها في القيض لا تتقى   ونورها في القر مستحقر
وخلقها خلق الملوك التي   تمكث في العهد ولا تصبر
ليث يجنّ ولا الحسن من   يعصر عند اللفظ او يجبر

حتى ان ابن الرومي تسلط على هجاء والده بمعنى لم يسبق اليه وهو قوله

لو كان مثلك في زمان محمد   ما جاء في القرآن بر الوالده

وكذلك ابن عنين حيث يقول

وجنبني ان افعل الخير والده   قديما اذا ما عد اهل التناسب
بعيد من الحسنى قريب من الخنا   وضيع مساعي الخير جم المعائب
اذا رمت ان اسمو صعودا الى العلا   غدا عرقه نحو الدنية جاذبي

وما تسلط أحد على هجا رابيه كعلي بن بسام حتى قال المرزباني لقد استفرغ شعره في الهجا وقال ابن المعتز

من شاء يهجو عليًا … فشعره قد كفاه
لو أنه لو بنيه … ما كان يهجو أباه

وملكة الصناعة اذا حصلت للشاعر امكنه ان يحسن القبيح ويقبح الحسن كما قال ابن الرومي

في زخرف القول تزويج لباطله … والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه … وان تعب قلت ذا قيء الزنابير
مدحًا وذمًا وما جاوزت وصفهما … حسن البيان يرى الظلماء كالنور

والى ذلك الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة وتلطف ابن عيينة في قوله معتذرًا لوهب

قد اكثر الناس في وهب وضرطته … حتى لقد مل ما قالوا وما بردا
فلا تقل ضرطة هاجت كضرطته … في التاركين ولم تحسد كما حسدا
يا وهب لا تكترث للعائبيك بها … فانما انت غيث رعدا رعدا

حتى ان بعضهم صنف كتابا في الاعتذار عن ضرطة وهب وقد سارت في الآفاق وضرب بها المثل كما قال ابن قلاقس في اللحى

هي فوق الصدر قد … مدته من شرق لغرب
لحية ردية في الـ … ـناس ولا ضرطة وهب

وهذا بخلاف قول بعض الشعرا المغنين انشدها لزبيدة

ازبيدة ابنة جعفر … طوبى لزائرك المثاب
تعطين من رجليك ما … تعطي الاكف من الرقاب

حتى

٥٢

حتى ان عبيدها جعلوا يقرعون رأسه فقالت دعوه فانه اراد خيرا فاخطا وهو احب الينا ممن اراد شرا فاصاب سمع قولهم تمالك اذنى من بهى فلان فلعل معناه من هذا الباب من عارض قابل الأطماع جمع طمع وقد تقدم باليأس ضد الرجا رنت نظرت نظرا دايما مع سكون اليه عين العز ممن يطمع فيه ومن غيره من حيث دنا نظره كذلك وفي الجمع بين الطمع واليأس وكذا بين الذل المفهوم من الطمع وبين العز طباق بديعي وتشبيه العز بالناظر مكنية واثبات الناظر له تخييلية ولعظم اليأس وقوة سلطانه صلح ان يقابل ويقاوم بمفرده جمع الاطماع والى معنى البيت اشار بعضهم بقوله

اذا املك الانسان ثوب قناعة … ترشف كاس العز في الناس سائغه
ولم يخش من فقر رمته سهامه … لان عليه نثرة الصبر سابغه

سائغه

ولبعضهم

لا ابيع الامير يوما … ولم ابع عزتي بذلي
اني في منزلي على ما … عودت نفسي اميرا هلي

وقال اخر

نصف رغيف مشبع لمن أكل … فالذل من أي الوجوه يحتمل

وقال غيره

من عف خف على الصديق لقاؤه … واخو الحوايج وجهه مملول
واخوك من وفرت ما في كيسه … واذا استعنت به فانت ثقيل

وقوله من عطف النفس على مكروهها كان الغني قرينه حيث انتوى فيه اشارة الى القناعة التي قال في شانها النبي صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد ومأخذ الناظم قول الشاعر

والنفس راغبة اذا رغبتها ۞ واذا ترد الى قليل تقنع
واحسن قيل فيها قول الطغرائي
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا ۞ يحتاج فيه الى الانصار والخول
ولله در ابن عيينة حيث قال
الرزق ياتي وان لم يسع صاحبه ۞ حتما ولكن شقا المرء مكتوب
وفي القناعة كنز لا نفاد له ۞ وكلما يملك الانسان مكسوب

من عطف تمني النفس وتقدم الكلام عليها على مكروهها من الفقر بأن يقنعها به كان الغنى المحبوب له الحاصل من القناعة قرينه صاحبه المقارن له ونعم القرين حيث انتوا افتعل من النية اي حيث نوى وقصد وفي الجمع بين المكروه والغنى ايهام التضاد وقوله من لم يقف عند انتهاء قدره تقاصرت عنه فسحات الخطا فيه عقد لقول علي رضي الله عنه رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره والتحقيق من عرف المبتدا والمنتهى وما بينهما عرف نفسه حق المعرفة من لم يقف بتقصير في جريه لطلب المعالي عند انتهاء بلوغ قدره رتبته تقاصرت قصرت عنه فسحات الخطا واسعاتها ولو قال طويلات لكان انسب للمقابلة والخطا بضم الخاء المعجمة جمع خطوة بضمها مسافة ما بين القدمين واما الخطوة بالفتح فهي المصدر وقريب من معنى البيت قول ابي الطيب

ومن جهلت نفسه قدرها ۞ رأى غيره منه ما لم يرى
وطلب المعالي دونه خرط القتاد وتفتت الاكباد وما احسن من قال
بقدر الصعود يكون الهبوط ۞ فاياك والرتب العاليه
وكن في مكان اذا ما سقطت ۞ تقوم ورجلاك في عافيه
ولله در ابن رشيق اذ قال

تنازعني النفس اعلى الامور ۞ وليس من العجز لا انشط
ولكن بمقدار قرب المكان ۞ تكون سلامة من يسقط
وقال وكيع رحمه الله
لقد رضيت همتي بالخمول ۞ ولم ترض بالرتب العاليه
وما جهلت طعم طيب العلا ۞ ولكنها تطلب العافيه

وقوله من ضيع الحزم جنى لنفسه ندامة الذع من سفع الذكا ماخوذ من قول عمرو بن العاص رضي الله عنه يخاطب معاوية بن ابي سفيان

امرتك امرا جازما فعصيتني ۞ وكان من التوفيق قتل ابن هاشم
وهذا ابنه والمرء يشبه غيضه ۞ ويوشك ان يلقى به حتف نادم

وقد اكثر الناس الكلام في الحزم وحقيقته سوء الظن بالناس كما حكي عن رجل على عهد كسرى كان يقول من يشتري ثلاث كلمات بالف دينار فيهزئ به الى ان اتصل الخبر الى كسرى فاحضره وسأله عنها فقال ليس في الناس كلهم خير فقال صدقت ثم قال ماذا قال ولا بد منهم قال صدقت ثم ماذا قال فلابسهم على قدر ذلك قال كسرى قد استوجبت المال فخذه قال لا حاجة لي به وانما اردت ان ارى من يشتري الحكمة بالمال وما احسن قول ابي الطيب

وصرت اشك فيمن اصطفيه ۞ لعلمي انه بعض الانام
وآنف من اخي لابي وامي ۞ اذا ما لم اجده من الكرام
اذ الاجلاف يغلبها كثير ۞ على الاجلاف اولاد اللئام
وقال غيره
فظن بسائر الاخوان شرا ۞ ولا تأمن على سر فؤادا

فلو حبرتهم الجوزاء خبري لما طلعت مخافة ان تكادا

فاي الناس اجعله صديقا واي الارض اجعلها بلادا

ولله در ابن الرومي حيث يقول

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم بعدي عن الناس في هذا الزمان نجا

لولا التباعد بين الحاجبين به بان افتراقهما لم تعرف البلجا

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي على احد منهم خلقه وقيل لمعاوية ما بلغ من عقلك قال ما وثقت باحد قط من ضيع ترك الحزم الاحتراس في اموره من الناس جنا قطف لنفسه ندامة اوجر جريرة عليها والاولى انسب وشبه الندامة بثمرها على طريقة الكناية وخيل لها بالجنا وهو القطف الذع من اللذع وقد تقدم معناه ومعنى كل من سقع والذكا وهو من التهاب النار وبين ضيع وجنا ايهام التضاد وحكى عن الرشيد انه غنته جارية مسلم بن الوليد من قصيدته التي مدح بها مزيد بن يزيد الشيباني

تراه في الامن في درع مضاعفة لا يامن الدهر ان يدعى على عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

فسال عن القايل وعن المقول فيه فقيل له عنهما فكان مزيد يقول دايما للرشيد والله يا امير المومنين لاحرص على ان اكذب شعرا في ما مدحوني به فامر الرشيد باحضاره على الحالة التي يصادف عليها فحضر وعليه ثياب حنونة ملونة معصرة فلما نظر اليه الرشيد في تلك الحالة قال اكذبت شاعرك يا مزيد قال في اي شي يا امير المومنين قال في قوله تراه في الامن البيت فقال يزيد لا والله يا امير المومنين ما اكذبه وان الدرع ما فارقني

وكشف

وكشف عن ثيابه واذا عليه درع مظاهرة فامر الرشيد بحمل خمسين الف دينار الى مزيد وخمسة الاف دينار الى مسلم وحكى مسلم هذا قال دخلت على مزيد بن يزيد وبين يديه وصيفة وبيدها المراة وهي تريه وجهه وبيده مشط يسرح به لحيته فقال لي ما الذي ابطا بك عني قلت ايها الامير ضيق اليد وقصور الحال فانشدني فانشدته مطلع هذه القصيدة وهو قولي

اجررت حبل خليع في الصبا غزلي الى ان بلغت قولي لا يعبق الطيب البيت فرمى المشط وقال للوصيفة انصرفي فقد حرم علينا مسلم الطيب فما رؤي بعد ذلك ظاهر الطيب ولا متكحلا وكان اعطر اهل زمانه ومن كلامه . الله بيني وبين مسلم حرم احب الاشيا الي و قوله من ناط بالعجب عرى اخلاقه نيطت عرى المقت الى تلك العرى ناظر الى قوله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى من جر ثوبه خيلاء والى قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعنيهما ادخلته النار وحكى عن يزيد بن المهلب انه كان ماشيا وعليه حلة يسحبها فنظر اليه مطرف بن عبد الله بن الشخير وقال له ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال يزيد ما تعرفني قال بلى اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت بينهما تحمل العذرة وهذا الكلام منسوب لعلي كرم الله وجهه وعقده الفقيه منصور المصري اجمالا فقال

قلت للمعجب لما قال مثلي لا يراجع

يا قريب العهد بالـ ـمخرج لم لا تتواضع

وقال ايضا

تتيه وجسمك من نطفة وانت وعاء لما تعلم

وعقده بعض الشعرا في قوله

عجبت من معجب بصورته • وكان من قبل نطفة مذره •
وفي غد بعد حسن صورته • يصير في الارض جيفة قذره •
وهو على عجبه ونخوته • ما بين جنبيه يحمل العذره •

وما احسن قول الحضرمي

اري اولاد آدم ابطرتهم • حظوظهم من الدنيا الدنية •
فلم بطروا واولهم منى • ولم بطروا وآخرهم منيته •

من ناط علق وقرن بالعجب بضم اوله الزهو والخيلا عرى بضم العين المهملة جمع عروة وهي في نحو الدلو مقبضة وفي الثوب مدخل الزرا اخلاقه جمع خلق بضم اللام وسكونها وقد بيناه في علم الاخلاق من عيون المسائل وتشبيه بثوب من جهة ان الشخص ملتبس به كالثوب استعارة مكنية واثبات العرى تخييل وتشبيه العجب بالزر الذي يدخل في العروة ويستمسك بها مكنية ايضا والاناطة تخييل نيطت عرى المقت من الله تعالى كما تقدم ومن الناس وهو اشد البغض الى تلك العرى ولكون نيط بمعنى قرن تعدى باليا وبالى كما تقول قرن به وقرن اليه قال الاصمعي سمعت رجلا من العرب يقول الحسد ماحق للحسنات والزهو جالب لمقت الله ومقت الصالحين والعجب صارف عن الازدياد من العلم داع الى التخبط في الجهل والبخل اذم الاخلاق واجلبها لسوء الاحدوثة وقوله من طال فوق منتهى بسطته اعجزه نيل الدنا بله القصا فيه عقد للمثل المشهور اذا زاد على حده انقلب الى ضده وقيل لبعض الحكما من اسوأ حالا لمن اتسعت معرفته وضاقت مقدرته وبعدت همته من طال تطاول وترافع فوق منتهى نهاية بسطته قدرته اعجزه نيل الدنا ما دنا منه وهو جمع دنيا ودم عجزه عنه سقوط عن نظره

لتلغته الى ما هو ارفع ويقال في الامثال من طلب الشي كله فاته كله والاعتدال مطلوب كما قيل حب التناهي غلط خير الامور الوسط وقال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الاية وكلمة بله مختلف فيها فقيل اسم فعل بمعنى دع فيصير المعنى اترك القصا بضم القاف جمع قصوى او قصيا مقابل الدنيا وحركتها على هذا حركة اعراب وقيل انها بمعنى كيف وما بعدها مرفوع وروي بالاوجه الثلاثة قول الشاعر

تذر الجماجم ضاحيا هاماتها • بله الاكف كانها لم تخلق •

وورد في الحديث اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه وفي المثل يحرقك النار ان تراها بله ان تصلاها وقوله من رام ان يعجز عنه طوقه ملعبا يوم اضحى مخزول المطا ناظر الى قول عمرو بن معدي كرب

اذا لم تستطع شيئا فدعه • وجاوزه الى ما يستطاع •

وبضده قول ابراهيم النبهاني المتقدم

ولكن رحلناها نفوسا كريمة • تحمل ما لا تستطاع فتحمل •

من رام طلب ما يعجز عنه تضيق طوقه طاقته وقدرته ملعبا اي ضر العبار وهو بكسر العين المهملة الثقل كما قال الشاعر

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا • شديدا باعباء الخلافة كاهله •

واشد الاعبار الولد كما قال ابو العلا المعري

اي ولد الفتى عبأ عليه • لقد سعد الذي اضحى عقيما •
فاما ان يربيه عدوا • واما ان يخلفه يتيما •
واما ان يصادفه حمام • فيبقى حزنه ابدا مقيما •

واخذ ذلك من قول ابي الطيب

وماتسع الازمان علمي بأمرها ۔ وما تحسن الايام تكتب ما املي

وما الدهر أهل ان يؤمل عنده ۔ حياة وان يشتاق فيه الى النسل

يوم ظرف لرام اض رجع مخزول مقطوع المطا الظهر والخزل زحاف عروضي وهو عبارة عن اجتماع الطي والاضمار كما بيناه في عيون المسائل وهذا بخلاف قول الشاعر

حملت امرا ثقيلا فاصطبرت له ۔ وقمت فيه بأمر الله يا عمر

وقوله والناس ألف منهم كواحد وواحد كالالف ان أمر عنا فيه عقد لقوله صلى الله عليه وسلم ليس شي خيرا من الف مثله الا المؤمن وفي هذا المعنى قول البحتري

ولم أر أمثال الرجال تفاوتوا ۔ الى المجد حتى عد ألف بواحد

والناس الف منهم لمزيد ذلهم كرجل واحد ان أمر عنا وهذا يقال في مقام الاحتقار كما هنا وقد يقال ويراد به المدح من جهة اتفاق الكلمة وقريب منه ما ورد من ان المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وعلى ذلك فلا نظر لكون التشبيه معطيا ان الواحد كالالف فيكون قوله وواحد كالألف لغوا كما قال بعض الشارحين لان المقصود بالذات انما هو ذم الألف من غير ملاحظة الواحد وان استتبع ذلك مدحه ضمنا فيكون قوله بعد ذلك مفيدا حيث كان القصد الاول منه مدحه من غير نظر الى ذم ما دخلت عليه الكاف وان استتبعه ايضا ان امر منهم عنا قصد وشق ويروى عدا اي غشي ويحكى ان امير المؤمنين عليا كرم الله وجهه كان مقوما بالف لشجاعته رضي الله عنه ومن المشهورين بذلك الزبير بن العوام فقد حكى انه ازال مالك

النضري

النضري واصحابه يوم حنين حتى وقفوا على اوطاس وهو موضع مشرف فجعل طليعته ينظر فقال له ما ترى قال ارى خيلا عليها فرسانا صفتهم كيت وكيت فيقول بنو فلان في تبع بني فلان فلم يزل كذلك الى ان قال له ارى فارسا منفردا بعمامة حمراء رمحه على عاتقه قال قد جاءكم الموت الزؤام ذلك الزبير بن العوام والله لا يبرح حتى يزيلكم من موضعكم هذا فلما حاذاهم رفع راسه اليهم فما زال يضاربهم حتى ازالهم من موضعهم ووقف به وكان مالك هذا مقوم بألف فارس كما حكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استنجده عامله بالشام ان يرسل اليه الفي فارس انه ارسل له مالكا وطلحة الاسد عن الفي فارس وقوله وللفتى من ماله ما قدمت يداه قبل موته لا ما اقتنى فيه عقد لقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وقد جمع البرهان البقاعي ما ورد فيه مثل ذلك في قوله

للعبد يجري الاجر بعد الموت في ۔ تسع كما قال النبي المصطفى

اجراء نهر حفر بئر غرس نخل ۔ نشر علم والتصدق في الشفا

وبناء بيت ابن السبيل ومسجد ۔ او يترك ابنا صالحا او مصحفا

وما احسن قول مسلم بن الوليد

وما نديس منها كف منتقد ۔ تأتي عليه فتنفيها أصابعه

لا يعرف المال الا عند ناقله ۔ ويوم يجمع للنهب طالعه

وللنصير

قالت ظريفة ما تفي دراهمنا ۔ وما لنا سرف فيه ولا خرق

اما اذا اجتمعت يوما دراهمنا ۔ ظلت الى طرق المعروف تستبق

ما بال الدرهم المنقوش صرتنا ۔ لكن يمر عليها ثم ينطلق ۔

وابلغ منه قول ابي الطيب

وكلما لقي الدينار صاحبه ۔ في ملكه افترقا من قبل يصطحبا ۔

مال كان غراب البين يرقبه ۔ وكل ما قيل هذا مجتمع نعبا ۔

وانكت منه قول الصفدي

لا تجمع الدينار واسمح به ۔ ولا تقل كن في حما كنفي ۔

ما الدهر نحوي فينحو الهدى ۔ ويمنع الجمع من الصرف ۔

وللفتى من بلغ السن المتقدم ويطلق على الشاب ايضا ويستعمل في من عداهما توسعا لملاحظة ما فيه من وصف الفتوة وهي الجود والكرم من ماله الذي مال اليه وآل اليه من غيره ما قدمت له اسلفته عند الله يداه من المعروف المثاب عليه شرعا كما قال الله عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى ووجه ذكرهما كون العطا بهما في الغالب والا فلو امر بالتصدق وفعل ذلك كان له هذا الحكم قبل موته او بعده كما اذا اوصى بصرف شي منه في وجوه الخيرات لا ما اقتناه ادخره لنفسه وحرص عليه كما قال صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وقال الشاعر

تسائلني هوازن اين مالي ۔ وهل لي غير ما انفقت مال ۔

ووجه ذلك حصول اللذة المعجلة فيما ينفق وما يدخر فانه بمنزلة المعدوم الاصلي فلذلك قال علي كرم الله وجهه البخيل يتعجل الفقر يعيش في الدنيا عيش الفقرا ويحاسب حساب الاغنيا قال بشر الحافي لا غيبة لبخيل ولنظر الى سخي احب الى الله من عابد بخيل وقال المامون لمحمد بن عباد بلغني

ان

ان فيك سرفا فقال يا امير المومنين منع الموجود سوء الظن بالمعبود وقيل لبعض اهل البيت اراك تسرف وقد نقل عن جدك ان لا خير في سرف فقال لا سرف في الخير وقيل مثل الفتى البخيل كمثل البغال والحمير تحمل الذهب والفضة وتعلف من التبن والشعير وورد مال البخيل لحادث او لوارث او لحادث واحسن ما هجي به البخيل قول الشاعر

لا تعذلوني ان هجرت طعامه ۔ خوفا على نفسي من الماكول ۔

فمتى اكلت قتلته من بخله ۔ ومتى قتلت قتلت بالمقتول ۔

قيل لابي الحارث تغديت عند فلان فقال لا ولكني مررت بابه وهو يتغدى قيل له وكيف عرفت ذلك قال رايت غلمانه بايديهم قسي البندق يرمون الطير في الهوا وخلاف ذلك ما حكي من ان المنصور حج في بعض السنين فحدا به سالم الحادي في طريقه يوما فقال

ابلج بين حاجبيه نوره ۔ اذا تغدى رفعت ستوره ۔

يزينه حياؤه وخيره ۔ ومسكه يشوبه كافوره ۔

حتى ان المنصور طرب فاعطاه عشرة دراهم فقال سالم لا غير يا امير المومنين والله لقد حدوت بهشام بن عبد الملك فامر لي بثلاثين الف درهم فقال المنصور ما كان له ان يعطيك ذلك من بيت مال المسلمين الزمه يا غلام حتى يادي ما قال فتشفعوا له حتى آلى على نفسه ان يحدي له مسافة الطريق من غير شي وقوله وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى ماخوذ من قول عبد الصمد

اری الناس احدوثة ۔ فكوني حديثا حسن ۔

وهو فى غاية المبالغة حيث نفى عن المرء كل صفة حتى صفات ذاته ولم يعد له صفة على وجه الحصر الا الحديث الحسن بعده والنكتة فى ذلك فناء ما هنالك بموته دون الذكر كما حكى عن كسرى انه كتب على شرافات ايوانه حكماً هى الظلم وان دام دمر والعدل وان قصر عمر ومن لم يخلف ذكراً لم يذكر والاسمى صب وان لم يقبر ويقال ان جميع الايوان انهدم الا اماكن هذه الكلمات **وانما المرء الاحديث** ما يتحدث به من الاخبار **بعده** ان حسنا فحسن او قبيحا فقبيح **فكن** ايها المخاطب بعد موتك **حديثا حسنا لمن وعى** حفظ المناقب والمثالب فيجرى كلا منهما مجراه وقد تقدم اول الكتاب فى ابن بسام

والحادثات موكلات بالفتى ... والناس بعد الحادثات سماع

وقوله **انى حلبت الدهر شطريه فقد أمر لى حينا وأحيانا حلا** كان الاولى تقديمه مع ما بعده عقب قوله عاجلت ايامى البيت ووجه المناسبة لا يخفى وماخذه قول الشاعر

مازال يحلب هذا الدهر اشطره ... يكون متبعا طورا ومتبعا

والمراد بذلك التكنية عن حالتى الدهر من السرا والضرا كما قال المعتمد

من يصحب الدهر لم يعدم تقلبه ... والشوك ينبت فيه الورد والآس

تمر حينا وتحلو لى حوادثه ... فقلما فرحت الا اتت تاسو

وفى معناه

اسل الدهر نالم منك ... فهكذا مضت الدهور

فرح وحزن مرة ... لا الحزن دام ولا السرور

وللتهامى

الدهر

الدهر كالطيف بؤساه ونعماه ... من غير قصد فلا تمدح ولا تذم

لا تسأل الدهر فى غماء يكشفها ... فلو سألت دوام البؤس لم يدم

انى حلبت الدهر استنزلت دره وهو كناية عن اختباره **شطريه** نصفيه بدل مفصل من مجمل تقول حلبت شطرى الناقة اذا حلب خلفين من اخلافها ثم خلف الخلفين الاخيرين مرة ثانية وشطراه الشر والخير المشار لهما بقوله **فقد امر** دره من المرارة ضد الحلاوة **لى حينا** طورا ووقتا ولثانيهما بقوله **واُحيانا حلا** وفيه اشارة الى ان نعماه اكثر من بؤسه وماخذه قوله تعالى فان مع العسر يسرا الاية وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال لن يغلب عسر يسرين ونقل الفخر الرازى عن ابن عباس انه قال يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وعقد بعضهم هذا المعنى فقال

لا تجزعن لعسرة من بعدها ... يسران وعد ليس فيه خلاف

كم عسرة ضاق الفتى لنزولها ... لله فى اعطافها ألطاف

قال ابن خلكان يقال انه ما نزلت باحد نازلة وردد هذين البيتين الا وفرج الله تعالى عنه وهما

يا رب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج

وما احسن قول بعضهم

كن عن همومك معرضا ... وكل الامور الى القضا

فلرب أمر مسخط ... لك فى عواقبه رضا

الله يفعل ما يشاء ... فلا تكن متعرضا

ومن كلام بعض الحكما القواهر العلوية دايمة الفيض ممنوعة الحجب تقتص من الظالم للمظلوم ومن الحاكم للمحكوم وما احسن قول ابن حجاج

دهرها سماوية تجرى على قدر … لاتفسدنها برأى منك معكوس

وقال غيره

اذا جاء خطب وايقنت من … ضعف فان الأمر بالتى يشير

ينعكس الأمر ويأتى كما … شئت فسبحان اللطيف الخبير

وقال ابن حمدوس

ما اغفل الفيلسوف عن طرق … لبث لأهل العقول منسلكه

من سلم الأمر للأله نجا … ومن عدا القصد واقع الهلكه

وقال بعضهم

لاتشك فالأيام حبلى وربما … جائتك من اعجوبة بجنين

وكذا تصاريف الزمان مبينة … فى راحة وخشونة فى لين

ماضاع يونس بالعراء مجردا … فى ظل نابتة من اليقطين

والبيت مشتمل على الاستعارة المكنية لتشبيه الدهر بالناقة الحلوب من جهة الاحيان المذكورة والتخييلية باثبات الشطرين والحلب والحلاوة والمرارة والطباق بين هذين الاخيرين وقوله وفر عن تجربة نابى فقل فى باذل راضى المخطوب وامتطى عقد لقول الحجاج

ولقد فررت عن ذكا … وفتشت عن تجربه

واراد بالذكا تمام السن وناظرا الى قول جرير

وابن اللبون اذا مالذ فى قرن … لم يستطع صولة البزل القناعيس

وفر بالنبا للمجهول كشف وفتش عن تجربة واختبار نابى واحد الانياب

قال

قال ابوزيد للانسان اربع ثنايا واربع رباعيات واربع انياب واربع ضواحك واثنا عشر رحى ثلاث فى كل شكل واربعة نواجذ وهى اقصاها انتهى ويقولون فرعن الدابة اذا فتح فوها ليعرف سنها ومنه قولهم فى المثل عينه فراره فقل ايها المخاطب العام فى اى فى شانه بده التحنة ويكون التخفيف للوزن اجراء للوصل مجرى الوقف وعليه ف باذل اى مسن يكون مرفوعا على الابتدا وهو وما بعده مقول القول والمعنى قل فى لكثرة تجربتى ذلك او يكون فى حرف جر فما بعدها مجرور بها والمعنى قل فى مسن ماشئت وحذف مقول القول للعموم وعليه فجملة راض اذا من الرياضة وهى اذلال النفس بمطاوعتها على ماتكره المخطوب وهو جمع خطب الامر العظيم المهتم وامتطى ركب مطى المخطوب وهو ظهرها فى محل جر على انها صفة لباذل كذا اشار اليه بعض الشارحين وعندى ان جملتها مقول القول اقعد وانسب ولا يخفى مافى البيت من الاستعارة المكنية حيث شبهت المخطوب بالجمال الهايجة التى لم تذلل والتخييلية باثبات ماينا سبها من الرياضة والامتطا مع ايهام التضاد بين باذل وبينهما حيث كانا من صفات الجمال ايضا وانما لم يرد منه هذا المعنى فان اريد كان من قسم المشاكلة اوالاستعارة بان يكون الناظم شبه نفسه بجمل الابل المختبر بكشف نابه ليعلم انه باذل مسن كثر طروقها وعثر على ذلك بالامتطا والرياضة وقوله والناس للموت خلا يلسهم وقلما يبقى مع اللتى الخلا ماخوذ من قول ابن مناذر

وارانا كالزرع يحصدنا الدهر … فمنا بين قايم وحصيد

واصل هذا التشبيه ماخوذ من قول الله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى

قوله حطاما وورد في الحديث ان الدنيا مزرعة الآخرة والناس للموت خلا
وهو الرطب من النبات الواحدة خلاة يلستهم رعاهم بمقدم فيه وقلما
تقدم الكلام عليها يبقى يدوم ويستمر مع اللتس المتقدم ضمن يلس الخلا المذكور
وتشبيه الموت بالماشية في الناس المشبهين بالمرعى مكنية واثبات اللس تخييل
وقريب من المعنى قول بعضهم

انما نحن مثل خامة زرع   فمتى يان يأت محتصده

ويقرب منه قول عدي بن زيد في قصيدته المشهورة

اين كسرى كسرى الملوك انوشر   وان ام اين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ   ـروم لم يبق منهم مذكور
ثم اضحوا كانهم ورق جـ   ـف فألوت به الصبا والدبور

فالوت

واكثر الشعراء من تشبيه حالتي الموت والناس في الحصاد كما قال ابن النبيه

الناس للموت كخيل الطراد   فالسابق السابق منها الجواد

الى أن قال

والموت نقاد على كفه   جواهر يختار منها الجياد

وقوله عجبت من مستيقن أن الردى اذا اتاه لا يداوي بالرقى ماخوذ
من قول ابي ذويب المتقدم وهو

واذا المنية انشبت اظفارها   الفيت كل تميمة لا تنفع

عجبت والعجب انكار ما يرد لعدم الالفة به من شخص مستيقن عالم
علم يقين ان الردى الهلاك اذا أتاه من عند الله تعالى وكان محتما
لا يداوي يعالج بالرقى جمع رقية وهي ما يقرأ من الادعية وامثالها
لرفع الهلاك كما وردت السنة بذلك حكي عن الصديق رضي الله عنه انه لما

اشتكى

اشتكى قيل له هلا ادخلت عليك طبيبا فقال الطبيب أمرضني ولله در
الشيخ ابي بكر داود الظاهري في قوله

أمر على المنازل كالغريب   أسائل من لقيت عن الحبيب
وما يغني الوقوف على اثاف   ونؤي الدار عن كنف كئيب
شكوت الى الديار فلم تجبني   بلى شاقت الى وجه الحبيب
متى يحمي العليل من المنايا   اذا كان البلاء من الطبيب

ولا يخفى ما في البيت من الاستعارة اذ شبهت الرقى بالادوية المعتادة
في التناول المقابلة للغذا كما سلف واثبت التداوي بها فان قلت
اذا اتى الردى حصل الهلاك ومعلوم حينئذ لا يداوي فلا فائدة في
ذكره قلت المراد بأتى يأتي ومنه قوله عز وجل اتى امر الله فلا تستعجلوه
الاية فحينئذ يمكن التاهب له بالتداوي قبل حلوله وحصوله فان قلت
اذا كان بمعنى المستقبل فأي مانع عن التاهب وتلقيه بالدوا قلت المانع
هو العلم بكونه محتما كما سبق فالتداوي له حينئذ عبث غير مفيد
ولا ينافي ذلك كون الغريق يتعلق بكل حبل يتعلق لان الكلام في اهل اليقين
كما سبق من حكاية الصديق رضي الله عنه والبيت يحتمل لا يريد بذلك غيره
من الناس على طريق التعريض او يريد نفسه على طريق الالتفات او مجموع
الناس الذي هو من جملتهم ويترتب على كل ما سياتي من قوله نحن ولا كفرات
الى اخره وقوله وهو من الغفلة في اهوية كخابط بين ظلام وعشا
ناظر الى المثل وهو من ركب متن عميا خبط خبط عشوى وهذا هو محل
التعجب اي انه كيف يغفل عن الافعال الصالحة ويتيه في محل مظلم يخبط فيه
مع ضعف بصره وهو مستيقن ما قد تقدم وهو اي والحال ان المستيقن

من الغفلة التغافل والتناسي لما تيقنه والا فالغفلة التي هي النسيان
لا يجب منها ولا يؤاخذ عليها اذ هو امر قسري وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه في اهوية
سبق الكلام عليها كرجل خابط للشجر بعصا ونحوها ليتناثر ورقه
ويعلف به ابله بين ظلام من اجل الاهوية وعشا بفتح اوله ضعف البصر
يوجب الظلام لان الشخص لا يرى في الظلمة ما يراه في غيرها والعشا ضد
الجهر لان الاعشا هو من لا يرى ليلا ويرى نهارا والاجهر عكسه وهذا
المستيقن لكثرة لهوه وغيه وتغافله عن الاجل صار كما قال اكثم بن
صيفي المكثار كحاطب الليل اي انه يجمع ما يناسب وما لا يناسب ولا يمكنه
الاختيار للظلمة وانه ربما عطب واصابه ما اصاب المحتطب من نهش
اولسب اولسع وقوله نحن ولا كفران لله كما قد قيل للسارب اخلى فارتعي
اذا احس نبأة ريع وان تطامنت عنه تمادى ولهى على الاحتمال
الاول السابق يكون بمنزلة الافتخار حيث كان مضمونه يؤدي المنافاة
لارباب الغفلة بموجب النهي للاقلاع بمجرد الاحساس وعدم التمادي في
اللهو ولا ينافيه قوله وان تطامنت الى اخره لان الواقع خلافه وهو بمنزلة
التعليق على المحال العادي وعلى الاحتمال الثاني يكون بمنزلة عتاب المرء
نفسه لما فيه من التوبيخ بجعل نفسه كالانعام بل الغافلون اضل كما قال
الله عز وجل اولئك كالانعام بل هم اضل الاية وحكم الاحتمال الثالث
حكم الثاني في التوبيخ نحن كلمة تعظيم من حيث ان الناظم اية من ايات الله
تعالى وكل اية عظيمة فيجب ان تؤدي ويعبر عنها بما يشعر بالتعظيم اجلالا
لله عز وجل كما يفيده قوله ولا كفران جحود لله اي لتعظيمه بتعظيم اياته

لما في تركه ذلك من الكفران وتنبيهه واجب كما اشعرت به لا التبرية
الواقعة مع ما بعدها موقع الاحتراس عما ادى اليه التشبيه من الاعتراف
بالاقتراف من اللذات المستمر ظاهره بالجحود فبذلك يرجى له بالانفراد
او مع جملة الناس ما يرجى للمقترف المعترف ويشهد له ما ورد عن الله تعالى
لولا انكم تذنبون فتستغفرون لاهلكتكم واتيت بقوم يذنبون ويستغفرون
كما قيل للسارب وفي رواية في السارب وهو الظاهر ما له من الماشية
والابل اي حالتنا كالحالة المقولة فيه او نحن مثله من حيث ما قيل فيه ومقول
القول اخلا دخل في الخلا المتقدم فارتعي من الرعي اي انه صادف خيرا
كثيرا فارعى فيه ماشيته ولكنه اذا احس ادرك واستشعر نبأة صوتا
ريع فزع من الروع واعلاله كاعلال قيل وفيه دليل على عدم استقراره
المعبر عنه بالغفلة وان تطامنت النبأة سكنت عنه تمادى استمر
على ما هو عليه ولهى بما هو فيه اذ هو هواه وطربه ولكنها بالنسبة الى ما
كني عنه غير متطامنة فلم يكن ثم تماد ولهو وبه يحصل الافتخار ولقد احسن
الناظم في تشبيهه حالة من وروده على بعض اللذات مع الاستشعار للعواقب
الالهية بحالة الراعي المذكور من جهة ان نعم الله تعالى عنده بمنزلة نعمه عنده
هذا فهو داع لها متحفظ عليها بالبقظة لئلا تسلب عنه عند الغفلة قال

اذا كنت في نعمة فارعها ٭ فان المعاصي تزيل النعم

وقوله كثلة ريعت لليث فانزوت حتى اذا غاب اطمانت ان مضى
تشبيه للمشبه به اي ان روعه باحساس النبأة وعوده وتماديه عند
تطامنها بمنزلة روع الغنم من الليث واطمانانها بذهابه وغيبته او انه كهي
من جهة هذه الحالة كما تقدم وهذا البيت مع ما قبله ماخوذ من قول صالح بن

عبد القدوس

نراع اذا الجنائز قابلتنا ۞ ونسكن حين تخفى ذاهبات

كروعة ثلة لمغار ليث ۞ فلما غاب عادت راتعات

والابيات مشتملة على الطباق بين الروع والاطمينان والحضور والغيبة ثلة بفتح المثلثة الجماعة من الغنم واما بالضم فالجماعة من الناس كما قال الله عز وجل ثلة من الاولين الآية دهمت لحضور ليث أسد فانزوت كمنت واستترت عنه خوفا منه حتى اذا غاب وذهب عنها الماتت سكن روعها ان مضى لمضيه وذهابه لان الحكم داير مع العلة وجودا وعدما ولما كانت هذه التشبيهات لا تفصح بالمراد اشار الناظم لذلك لقصد التوضيح بقوله تهال للشئ الذى يروعنا ونرتعى فى غفلة اذا انقضى اى انا نفزع مما يروع اذا حضر ونرتعى فى الغفلة اذا غير وهو كما قال ابن وهب

نراع لذكر الموت ساعة ذكره ۞ ونعترض الدنيا فنلهو ونلعب

تهال من الهول وهو الفزع اى نفزع لحضور الشئ الذى يروعنا من المهمات والمصائب ونرتعى فى غفلة على طريق الاستعارة لتشبيهها بكلا يرعى فيه وهى مكنية تخييلية اذا انقضى ذلك الشئ وبه مع الحضور المفهوم من الشئ يحصل الطباق البديعى واشار بقوله ان الشقا بالشقى مولع لا يملك الرد له اذا أتى ان المقدر كاين وان الله تعالى اذا اراد امرا لابد ان يبلغه كما ورد اذا اراد الله ان ينفذ قضاه وقدره سلب من ذوى العقول عقولهم حتى ينفذه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب حدثنى بأعجب ما وقع لك فى الجاهلية فقال اخبرك

بالثنتين اما احدهما اذا ذكرتها فاضحك واما الثانية اذا ذكرتها فابكى فقال له هات فقال كان لى صنم من تمر أعبده فاذا جعت اكلت منه وكانت لى ابنة حضرت لادفنها فكلما وقع التراب على لحيتى جعلت تنفضه ثم دفنتها فقال صلى الله عليه وسلم اوما عقول يا عمر قال يا رسول الله عقول واى عقول ولكن اضلها باريها والخلاف بين اهل السنة وغيرهم مشهور فى ذلك وبالجملة فالله هو الفعال وللانسان جزء اختيارى يثاب به ويعاقب عليه والا فيلزم مذهب الجبرية وقد برهن على بطلانه فى علم الكلام ان الشقا ضد السعادة بالشقى خلاف السعيد فمنهم شقى وسعيد الى قوله تعالى غير مجذوذ مولع مغرى وملازم كما قال الشاعر

صبت على ولم تنصب من أمم ۞ ان الشقاء على الاشقين مصبوب

لا يملك يستطيع الرد المنع والرجوع له اذا أتى من عند الله تعالى كما قال الشافعى رضى الله تعالى عنه

ما شئت كان وان لم اشأ ۞ وما شئت ان لم تشأ لم يكن

ولما كان البيت يشير الى الجبر اتبعه بقوله واللوم للحر مقيم رادع والعبد لا يردعه الا العصا للاشارة الى ان الناس على قسمين قسم يفيد فيه العتب واللوم على ما يقع منه وهذا هو المعبر عنه بالحر وقسم لا يفيد فيه ذلك لاعتقاده على ان ذلك من الله حيث كان هو الفعال فلا يوثر معها لا الوعيد والتهديد وهو المعبر عنه بالعبد ومثله كمثل اللاادريه وهى طائفة تشك فى حقايق الاشياء وتشك فى انها تشك وهكذا وكلما سئلت عن شئ تقول لا ادرى فهذه علاجها بالالقاء فى النار لتعترف او تحترق ومعنى البيت ان الشخص وان كان لا يملك الرد الا ان عليه السعى فى ترك

ما منعه الله تعالى والحث فيما امر به وليعرض على نفسه الاوامر الترغيبية
ان كانت نفسه قريبة من السعادة فان ذلك يردعها والاوامر الترهيبية
ان كانت نفسه قريبة الى الشقاوة فان ذلك يفزعها فقد قال الله تعالى
الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين **واللوم** مبتدا
وهو الملامة والعذل بالتي هي احسن **للحر** الخالص النسب **مفهم** له عن الفواحش
لتحريك عناصر اصله وتنبيهها على ما غفلت عنه من ارتكاب ما لا ينبغي وقع
خبرا وكذلك **رادع** كاف له ومانع عن ذلك واما قول بعضهم

قد عمى الملامة في التصابي وعلى ۰ ان الملامة ربما تغرى لي
فخارج عن مخرج التشبيب كقول من قال وهو احسن ما سمعته وحلا في
سمعي من بحر الدال

عاذلا عذلني ما في الهوى ملامه ۰ ويك كف عني لاحب لك في ذا ولا كرامه

والعبد خلاف الحر **لا تقرعه** شي وفي رواية يردعه اي تمنعه **الا العصا**
كما تقدم لعدم طيب عناصره فلا تتحرك وترتاح للخير ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة الاية وماخذ البيت قول الشاعر

العبد يقرع بالعصا ۰ والحر يكفيه الملام

وفيه طباق بديعي بين اللوم والقرع بالعصا وبين الحر والعبد واشار الى
دفع الجبر ايضا بقوله **وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد**
نجا اي ان مناط التكليف هو العقل وما دام موجودا في الشخص فهو قادر
على السعي في امتثال اوامر الله تعالى ونواهيه غاية ما يكون ان للعقل علة
هي الهوى والعياذ بالله تعالى فاذا استولت عليه ومكنها الشخص منه
استرسل في الضلال المودي له فيزعم حينئذ ما تقدم من الزعم الباطل

من

من انه مغلوب عليه وليس اختيار فيما يفعل وان عالجها بايراد ادوية
الحكم والمواعظ والنظر في ايات الله ومصنوعاته وزواجره ونواهيه
اتصل بعالم الكمال المنجي له في سائر الاحوال كما قال زياد الاعجم

وفي الحلم والاسلام للمرء رادع ۰ وفي ترك طاعات الفؤاد المتيم
بصائر رشد للهوى مستبينة ۰ واخلاص صدق علمها بالتعلم

وآفة علة **العقل** وهو ملكة يتبعها العلم بالضروريات مع سلامة
الالات ومحله القلب ويتصل شعاعه بالدماغ **الهوى** الشهوة والعياذ
بالله تعالى **فمن علا** ارتفع **على هواه عقله فقد نجا** من الهلكة كما قال
الشاعر

اذا طالبتك النفس يوما بشهوة ۰ وكان عليها للخلاف طريق
فخالف هواها ما استطعت فانما ۰ هواها عدو والخلاف صديق

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال آفة الدين الهوى وورد حبك للشيء
يعمي ويصم واما من غلب هواه على عقله فهو كما قال الشاعر

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى ۰ الى بعض ما فيه عليك مقال

وتشبيه العقل والهوى بمتصارعين متغالبين مكنية تخيلها باعتلاء
الغالب وكذا تشبيه العقل بالرجل المالوف مزاجه والهوى بالآفة والعلة
المعارضة له وقوله **كم من اخ مسخوطة اخلاقه اصفيته الود لخلق مرتضى**
اشارة الى ان ما تقدم من الحالات المشروحة سابقا هو مقتضى البشرية والا نسانية
فلا بدع في ارتكابها وهو ماخوذ من قول بشار

اذا كنت في كل الامور معاتبا ۰ صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا او صل اخاك فانه ۰ مقارف ذنب مرة ومجانبه

اذا انت لم تشرب مرارا على القذا ظمئت واى الناس تصفو مشاربه
وما احسن قول الحريري

يا اخي الحامل ضيمي دون اخواني وقومي
ان يكن ساءك امسي فلقد سرك يومي
فاغتفر ذاك لهذا واطرح شكري ولومي

كم من اخ صاحب شفيق كاخ شقيق مسخوط غير مرضية اخلاقه في غالب الاوقات كما يدل عليه بجمع لموجبات التكدير وعدم تهذيب الاخلاق وعلاج امراضها كما قال الله تعالى قد افلح من زكاها الاية وقد بينا علاج ذلك في عيون المسائل اصفيه اخلصته الود مني لاجل خلق وجد منه في وقت ما مرتضى غير مسخوطة وهذا دليل على وفور الناظم وهو على خلاف قول ابن الساعاتي

لا يغرنك التودد من قوم صح فان الود منهم نفاق
والقلوب الغلاظ تنتزع الاحقاد منها ظبا السيوف الرقاق

وقريب من قول ابن الساعاتي ما حكي عن سديف بن ميمون الشاعر من انه توجه من مكة الى السفاح العباسي لما بلغه ان الخلافة افضت من بني امية اليه فلما وصل اليه وكان عارفا به انشده بحضور قوم من بني امية قصيدته السينية التي اولها

اصبح الملك ثابت الاساس بالبهاليل من بني العباس

حتى اذا بلغ قوله

ولقد ساءني وساء سوائي قربهم من منابر وكراسي
طلبوا وترها شم فشفوها بعد ميل من الزمان وباس

لا تقيلن

لا تقيلن لعبد شمس عثارا واقطعن كل رملة وغراس
فاذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران اضحى رهن رمس وغربة وتناسي
ذلها اظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسي
انزلوها بحيث انزلها الله بدار الهوان والانكاس

فاعتذر لهم السفاح عنه بانه اعرابي جلف جافي لا يدري ما يقول ولا ما يخرج من راسه فتفرق القوم على ذلك فلما كان الغد ارسل اليهم السفاح ان يجتمعوا ويصلوا مع سيدهم سليمان بن هشام بن عبد الملك ليعرض لهم ويخبرهم فتهيئوا باجمعهم الى دار الخلافة فاذن لهم واجلس سليمان على سرير عن يمينه وجاء سديف لما بلغه اجتماعهم فلما رآهم بهذه الحالة غاظه ذلك وانشأ يقول

لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها امويا

فقال سليمان لسديف يا ابن الفاعلة الا تسكت فغضب السفاح ونظر الى رجال خراسان وهم وقوف بالاعمدة فقال لهم بالفارسية دهيد فشدخوا رؤسهم بالاعمدة حتى اتوا على اخرهم ثم نظر الى سليمان وقال له ما لك في الحياة خير بعد هولاء فقال اجل فامر بجره عن المصلى فجروه وشدخوا راسه وجروه برجله حتى القوه مع اصحابه ومن هذه المادة قول ابن قلاقس

وبنو الزمان وان صفوا لك ظاهرا يوما طووا لك باطنا ممزوقا
دوح يروقك الجني ثماره ولقد تمر به الرياح وريقا

وبين مسخوطة ومرتضى طباق بديعي وقوله اذا بلوت السيف محمودا فلا تذممه يوما أن تراه قد نبا فيه عقد لقولهم لكل صارم نبوة ومأخذه قول بشر بن المغيرة بن ابي صفرة

جفاني الأمير والمغيرة قد جفا … وأمسى اليزيد لي يزور حاجبه

وكلهم قد نال شبعا لبطنه … وشبع الفتى لوم اذا جاع صاحبه

فيا عم مهلا واتخذني لنبوة … تلم فان الدهر جم عواقبه

انا السيف الا ان للسيف نبوة … ومثلي لا تنبو عليك مضاربه

ونظم هذا المعنى كثير قال ابو تمام

وقد يكهم السيف المسمى منية … وقد يرجع المرء المظفر خائبا

وقال غيره

فقد يحمل السيف المجرب ربه … على ظلع في متنه وهو قاطع

والمراد ان الاخلاق الذميمة لا تمنع عن نفوذ الخلق الحسن في محله كما ان نبوة السيف المشهور لا تمنع ولا تمحو شهوته في الامضا فيما يطلب منه وقدم حديث سيف عمرو بن معدي كرب مع ان الشاعر وهو نهشل ابن حري يقول فيه

اخ ماجد لم يخزني يوم مشهد … كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

اذا بلوت اختبرت وسبرت السيف المتقدم الكلام عليه وعلى اسمائه واوصافه محمودا في جوهره وفرنده لا فيما يتعلق بحلائه كما قال لبيد

فاصبحت مثل السيف اخلق غمده … تقادم عهد القين والنصل قاطع

وكما قال الطغرائي

وانت السيف ان يعدم حليا … فلا يعدم فرندك والفراد

وليس يزيد في جري المذاكي … فرند فوقه ذهب معار

ورب مطوق بالدر يكبو … بفارسه وللمركب اعتبار

وزند عاطل يزهو بمرج … وبحرم الذي فيه السوار

فلا تذممه يوما لان تراه لرويتك انه قد نبا ارتفع عن محل الضرب من غير تأثير فيه وفي الجمع بين المدح والذم طباق وقوله والطرف يجتاز المدا وربما عن لمداه عثار فكبا فيه عقد لقولهم لكل جواد كبوة وما احسن قول بعضهم مهنيا بالسلامة من كبو الفرس

اما الجواد فلا يعزى الى زلل … وهل يزل جواد انت صاحبه

لكنه خر نحو الارض من دهش … لما تيقن ان الليث راكبه

وقال اخر

حاشا لصافنك الميمون طالعه … يزل والفلك الدوار خادمه

لكنه نظر الاملاك شاخصة … الى علاك فلم تثبت قوائمه

ولبعض اصحابنا في فارس جميل سقط من على فرسه

لا تظنوا السقوط كان لعجز … منه بالسبق وهو بالسبق عارف

انما كان بالتعمد لما … رامت الأرض لثم تلك المعاطف

وقلت فيه ايضا

ودره فارسا جميل المحيا … شرف الأرض في التسابق عامد

هجمت نعمة السرور عليه … عند سبق فخر لله ساجد

والطرف تقدم الكلام عليه يجتاز من جاز يجوز اذا قطع المسافة وبالجا المهملة من حاز المدى اى الغاية يحوزها اذا ملكها ومع ذلك ربما وهي كلمة تستعمل للتقليل قليلا وللتكثير كثيرا عن عرض لمداه عدوه وهو

السير السابق ببيانه او محل عدوه فلا لام بمعنى فى عثار بكسر اوله اول السقوط فكبا سقط على وجهه وقوله من لك بالمهذب الندب الذى لا يجد العيب اليه مختطى ماخوذ من قول النابغة الذبيانى

ولست بمستبق اخا لا تلمه   على شعث اى الرجال المهذب

ومعنى الابيات كلها قول الحريرى

سامح اخاك اذا خلط   منه الاصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه   ان زاغ يوما او قسط
واحفظ صنيعك عنده   شكر الصنيعة ام غمط
واطعه ان عاصى وهن   ان عز وادن اذا شحط
واقرا الوقار ولو اخـ   ـل بما شرطت وما اشترط
واعلم بانك ان طلبـ   ـت مهذبا رمت الشطط
من ذا الذى ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط
اوما ترى المحبوب والـ   ـمكروه لزا فى نمط
كالشوك يبدو والعصو   ن مع الجنى الملتقط
ولذاذة العمر الطويـ   ـل يشوبها نقص الشمط

قيل لما وصل فى النظم الى قوله من ذا الذى ما ساء قط سمع هاتفا يقول

محمد الهادى الذى   عليه جبريل هبط

من لك استفهام تقريرى بالمهذب الخالص من العيوب الندب الخفيف فى الحاجة الذى لا يجد العيب اليه مختطى طريقا يتخطى منه اليه وتشبيه العيب بالمنيع مكنية واثبات الخطو تخييلية وهى معنى كلام الناظم قول بعضهم

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلا ان تعد معايبه

وقوله

وقوله اذا تصفحت امور الناس لم تلف امرأ حاز الكمال فاكتفى ماخوذ من قول الشاعر

ومن ذا الذى يعطى الكمال فيكمل

وفى الواقع الكمال لله المتعال هذا حمل انصباب النفى على القيد والمقيد معا فاذا حمل انصبابه على القيد فقط ففيه اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال اذا تصفحت بحثت وفتشت أمور الناس وما هم عليه من الحالات لم تلف تجد امرأ حاز الكمال التام من الصفات المحمودة فاكتفى بما حازه وجمعه اما لان مراتب الكمال متفاوتة وهى فى حد ذاتها كثيرة والعمر قصير لا يفى باستيعابها اولان النفس حريصة وما تصل الى مرتبة الا وتروم فوقها مرتبة فلهذا ذهب بعض الحكماء الى ان ادراك النبوة ممكن بطريق الكسب والرياضة والمجاهدة وهو باطل كما بيناه فى النبوات فى عيون المسائل وسئل بعضهم عن عمر العلم ومدة تعلمه فقال من المهد الى اللحد وكلما غاص الانسان فى بحره ظهر له انه ليس على شى وهكذا فمن ثم قال بعضهم ما ازددت علما الا وازددت جهلا ومع ذلك فلو وصل الانسان الى مرتبة يزعم انها حالة الكمال ينغص عليه الموت ولا يلتذ بتلك الحالة ويكتفى بها كما حكى عن الصاحب الكمال بن النديم ان انسانا رفع اليه قصة فاعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذى يحمل مداسه وكان عنده بحالة غير مرضية فقال هذا خطك قال نعم قال فهذه طريقتى ~~من الذى اوقفك~~ من الذى اوقفك عليها قال كنت اذا اوقعت لاحد على قصة اخذتها منه وسالته المهلة حتى اكتب

عليه سطرين فأمره ان يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما ينفع الاداب والعلم والحجا ... وصاحبها عند الكمال يموت

فاعجب باستشهاده الكوفي خطه ورفع منزلته حينئذ وما الطف قول بعضهم في الصدر والكمال

مولاى صدر الدين ان زرته ... اسعده الدهر على كل حال

رايت حظى عنده وافرا ... فصح ان النقص عين الكمال

وقوله عول على الصبر الجميل انه امنع ما لاذ به اولو الحجا وعطف النفس على سبل الأسا اذا استقر القلب تبريح الأسا ليس في كثير من الروايات وماخذه قول الشاعر

صبرت فكان الصبر خير معول ... وهل جزع يجدى الى فاجزع

وماخذ الثاني قول الخنسا المتقدم

وما يكون مثل اخى ولكن ... اعزى النفس عنهم بالتأسى

عول اعتمد على الصبر وهو حبس النفس الجميل الحسن الذى لا شكوى معه انه أمنع ابقى ما شى لاذ والتجى به اولو اصحاب الحجا المتقدم ذكره وعطف بالتضعيف ثنى النفس على سبل الاسا بضم الهمزة وقد تقدم بيانه اذا استقر استحق القلب تبريح الأسا بفتح الهمزة وسلف شرح جميع ذلك وقوله فالدهر يكبو بالفتى وتارة ينهضه من عثرة اذا كبا لا تعجبن من هالك كيف هوى بل اعجبن من سالم كيف نجا ليس في كثير من الروايات ايضا ومعنى الاول مطروق للشعرا قال بعضهم

ان الليالى لم تحسن الى أحد ... إلا اسات اليه بعد احسان

وقال اخر

والدهر

والدهر لا يبقى على حالة ... لكنه يقبل او يدبر

فان تلقاك بمكروهه ... فاصبر فان الدهر لا يصبر

وقال الحريرى

وقع النوائب شيب ... والدهر بالناس قلب

ان دان يوما لشخص ... ففى غد يتقلب

فلا تثق بوميض ... من برقه فهو خلب

واصبر اذا هو اردى ... بك الخطوب وألب

فما على التبر عار ... فى النار حين يقلب

والثانى عقد لقول الحسين بن الحسن البصرى ليس العجب ممن عطب كيف عطب ولكن العجب ممن نجا كيف نجا من شيطان حرست منه السموات والارض فالدهر يكبو يسقط تارة بالفتى المتقدم بيانه وتارة أخرى ينهضه يرفعه من عثرة اذا كبا وتشبيه الدهر بالجواد استعارة مكنية والكبوة تخييل والجمع بينه وبين النهوض طباق لا تعجبن ايها المخاطب من هالك كيف هوى حيث كان مجئ ذلك على العادة الدهرية بل فاعجبن من سالم من الهلاك كيف نجا خلص من يد الدهر ويشرحه قول ابن الحسن البصرى السابق وفى الجمع بين السالم والهالك طباق وكذا بين هوى ونجا وقوله ان نجوم المجد أمست افلا وظله القالص اضحى قد انزى لو جعله عقب قوله انى تصفحت امور الناس البيت لكان انسب للاشارة الى انه عند الكمال تقع الاقوال حسبما اسلفناه ثم يؤمر بالصبر تسليا وتأسيا وما احسن هذه الاستعارة واعظم وقعها حيث كانت متضمنة لاشارة اخرى بطريق الايما وهو عدم السلامة من تخطى العيب حتى

في النجوم وان لكن المقصود بذكرها حقيقتها وعينها هو الأفول ان نجوم المجد السادات واصل الشرف والجود والكرم ما عدا من استثنى أمست أفلا غايبة غايرة كما قال الشاعر

نجوم سما كلما غار كوكب ۝ بدا كوكب تاوي اليه كواكبه

وفي ذلك ايماء الى التأسي المامور به في الابيات الماضية وتطلب القالص المنضم بعضه الى بعض أضحى قد أزى ذهب وتفرق وتشبيه المجد بالسما لقوة استعارة مكنية وتشبيه اهله بالنجوم من قسم رايت اسدا في الحمام وذكر الافول تخييل وما في الشطر الاخير لا يخفى والجمع بين النجوم والنظر من قبيل ايهام التضاد بين أمسى واضحى من وادي الطباق كالجمع بين ازى والقالص واستشعر الناظم بوجه اعتراض عليه من جهة الحكم بافول اصل المكارم مع ان ابني ميكال موجودان وقد وصفهما بما وصف من المحامد فاستثناهما بقوله الا بقايا من اناس بهم الى سبيل المكرمات يقتدى وهذا هو الاستثناء البديعي والنكتة البديعية فيه كونه اوقع في النفس بعد ذكر ضده فان الامور تعرف باضدادها ولان النفس تشوقت الى معرفة المستثنى والوقوف عليه لغرابته وجوده وعزته بعد ان قرع السمع الحكم الاول على العموم الا بقايا جمع بقية ما فضل خلفا عن سلف من اناس ناس بهم لا بغيرهم وهذا اما ان يكون راجعا الى البقايا او الى الناس والاول اغزر مدحا الى سبيل طريق المكرمات الافعال الحسنة جمع مكرمة وقد يجمع على مكرم كما قال الشاعر ۝ ليوم روع او فعال مكرم ۝ يقتدى يتاسى ويهتدى وتشبيههم بالائمة الذين يقتدى بهم وتشبيه طرق المكارم بمناهج الدين استعارة مكنية تخييل بالاقتدا الذي لا يكون الا بين امام ومأموم وتفنن في تشبيههم ايضا بقوله اذا الاحاديث انقضت

المكرمات

أنباؤها

أنباؤها كانت كنشر الروض غاداه السدا اي انه اذا انقضت الاخبار واندرست كانت هذه البقايا كرائحة الروض الذي يباكره الطل فيعيد بين الانقضا وبين كونها كذلك ايهام التضاد اذا الأحاديث ما يتحدث به عن الماضين انقضت ذهبت وروي اقتضت وفي رواية انتقضت فعلى الاول أنباؤها مرفوعا على الفاعلية وفي رواية انباءهم وعلى الاخرى يكون منصوبا على المفعولية اي طلبتها او اختارتها والانباء الاخبار كانت هذه البقايا وقول بعض الشارحين ان الضمير يعود الى الاحاديث غير ظاهر لعدم اعادته المدح المستثنى ولو اعيد الضمير يعود للانبا على نسخة اقتضت او انتقضت انباهم وجعلهم راجعا للبقايا ايضا كان فيه مدح لهم كنشر ريح الروض المتقدم بيانه غاداه باكره غدوة السدا بفتح اوله مقابل الندا من جهة انه يسقط نهارا والندا يسقط ليلا ومما يؤيد عدم ظهور قول الشارح قول الناظم لا يسمع السامع في مجلسهم هجرا اذا خالطهم ولا خنا لانه لو كان كما قال للزم الفصل بين الصفة والموصوف باجنبي سواء جعلنا الموصوف البقايا او الاناس الاعلى ما قررناه سابقا وفيه بعد لا يخفى على ان هذا البيت ليس في كثير من الروايات وهو ماخوذ من قول الغنوي

اذا ما تراه الرجال تحفظوا ۝ فلم تنطق العورا وهو قريب

ومن قول العجلي

ولا ينطق الفحشا من كان فيهم ۝ اذا جلسوا منا ولا من سوائنا

لا يسمع السامع في مجلسهم محل جلوسهم ويطلق المجلس على الناس الجالسين كما قال ابو علي في قول المهلهل

ذهب الخيار من المعاشر كلهم ۝ واستتب بعدك يا كليب المجلس

وتقاولوا فى امر كل عظيمة   لو كنت حاضر امرهم لم ينبسوا

ثم تقدم الكلام عليه اذا خالطهم ولاخنا عاشرهم وداخلهم والتقييد به
للاشعار بان هذه الحالة ثابتة لهم حتى وقت الالفة التى تسقط فيها الكلفة
ويطلع فيها على السرائر لبروزها الى الظاهر فلذلك قيل

احذر عدوك مرة   واحذر صديقك الف مرة
فلربما انقلب الصديق   فكان اعلم بالمضرة

ولعلى كرم الله وجهه

من اظهر الناس على سره   استوجب الكى على جبهته
من لزم الصمت نجا سالما   لا يندم المرء على سكتته

وما احسن قول العنبرى الطبيب

من لزم الصمت اكتسى هيبة   تخفى على الناس مساويه
لسان من يعقل فى قلبه   وقلب من يجهل فى فيه

وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فافشاه فلمته لانى كنت به
اضيق صدرا حيث استودعته اياه وقال الشاعر

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه   فصدر الذى يستودع السر اضيق

ولابى حفص البجلى

سرك ان اودعته ثانيا   فاعلم بان قد آن ان يفشيه
لان ما اضمر فى حالة الـ   افراد تستخرجه التثنية

ولغيره

انجل بسرك لا تبح يوما به   فصغيره ياتى بكل عظيم
اوما ترى شرر الزناد اذا فشى   ياتى وشيكا سقطه بجحيم

وبالغ

وبالغ ابو العلا المعرى فى قوله

فظن بسائر الاخوان شرا   ولا تامن على سر فؤادا

ومما يحكى ان امراة سمعت عاشقها ينشد

سرى وسرك لم يشعر به احد   الا الاله والا انت ثم انا

فقالت له لا تنس الفؤاد فانه لابد ان يدرك سرنا وقال بعضهم

اذا ما ضاق صدرى من حديث   فافشاه الرجال فمن الوم
اذا عاتبت من افشى حديثى   وسرى عنده فانا الظلوم

ولما ذكرنا سابقا من تنقيص الموت عند الكمال او عند توهم حصوله اشار بقوله
ما انعم العيشة لو ان الفتى يقبل منه الموت اسنى الرشا وهو قريب من قول
بعضهم

ان كان بطن الارض لو يقبل الفدا   فديتم وبدلناكم ساكن الظهر

وقال الحريرى فى مقاماته فظن ان الموت يقبل الرشا او يميز بين الاسد والرشا
وقال ابن نمير

ان المنية والحتوف كلاهما   يوفا المحارم يرقبان سوادى
لن يقبلا منى وفاء رهينة   من دون نفسى طارفى وتلادى

والانفس مجبولة على حب الحياة وطلب العيش بها مع العلم بتنغيصها وكثرة
غصصها كما قال ابو العلا المعرى

وحب الفتى طول الحياة يذله   وان كان فيه نخوة وغرام
فكل يريد العيش والعيش حتفه   ويستعذب اللذات وهى سمام

وقال ابن الجوزى وهو من بديع نثره اعلم ان الدنيا ان حلت اخلت او جلت
اوحلت او جلت او حلت اوكست اوكست وهنت او هنت ثلب المعز الملاهى

بالملاهي وتشغل القلب اللاهي عن الله وهمام الدواهي وبيت الدواهي
فالسعيد من ضرب رباعه واذا امدت اليه باعه باعه كم قبور تبنى وما تبنى تبنا
وكم مريض عدنا وما عدنا يا مغتر بالسلامات كم من عاشق سلا مات وكم
ملك دقت له الطبول ورفعت له العلامات فلما علا مات وفي صحيح البخاري
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ارسل الله ملك الموت الى موسى صلى الله عليه
وعلى نبينا وسلم فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني
الى عبد لا يحب الموت فرد الله عليه عينه وقال ارجع فقل له يضع يده
على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة قال اي رب ثم ماذا
قال ثم الموت قال فالآن فسال الله تعالى ان يدنيه من الارض المقدسة
برمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت ثم لاريتكم قبره الى
جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال في النهاية قوله ففقأ عينه قيل
انه اراد انه اغلظ له في القول يقال اتيته فلطم وجهي بكلام غليظ والكلام
الذي قاله لموسى احرج عليك ان تدنو مني فاني احرج داري ومنزلي
فجعل هذا تغليظا من موسى له تشبيها بفقء العين وقيل هذا الحديث مما نؤمن
به وبامثاله ولا ندخل في كيفيته انتهى وقال الزركشي وصكه اي لطمه
على عينه ففقأها كذا صرح به مسلم في روايته وانما فعل ذلك لانه جاء الى
قبضه ولم يخيره وكان موسى قد اعلم انه لا يقبض حتى يخير ولهذا لما اخبره
في الثانية قال الآن هذا اولى ما قيل فيه انتهى قلت لا شك في اولويته
سيما بالنسبة لما قبله من عدم الدخول تحت كيفيته من الكيفيات وان كان
له نظير عند اهل السنة في مبحث الرؤية حيث قالوا ان الله عز وجل
يرى في الدار الآخرة رؤية لا ندخل تحت كيفيته وقال الزمخشري ردا

عليم

عليهم

لجماعة سموا هواهم سنة ... لجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه فتخوفوا ... شنع الورى فتستروا بالبلكفه

قال ابو حيان قال القاضي ابو بكر احمد بن خليل في الرد عليه

شبهت جهلا صدر امة احمد ... وذوي البصاير بالحمير الموكفه
وزعمت ان قد شبهوا معبودهم ... وتخوفوا فتستروا بالبلكفه
ورميتهم عن نبعة سوّيتها ... رمي الوليد غدا يمزق مصحفه
وجب الخسار عليك فانظر منصفا ... في اية الاعراف فهي المنصفه
اترى الكليم اتى بجهل ما اتى ... واتى شيوخك ما اتوا عن معرفه
نهنه نهى اشياخك المتكلفه ... من ليس يدري كيف يحجب نفسه
وباية الانعام ويك خذلتهم ... فوقفتهم دون المراقي المزلفه
اذ يحجبوا الحجب الستائر كشفا ... ابت الاولى نحو الاولى بالمعرفه
ملك يهدد بالحجاب عبيده ... وهو المغرة اذ ترى ما اسخفه
لو كان بالمعدوم عندك لا يرى ... ذهب التمدح في هوا السفسفه
خلق الحجاب فمن وراء حجابه ... سمع الكليم كلامه اذ شرفه
خلق الحجاب لنفسه سبحانه ... فتشوقت الانفس المتشوفه
لو صح الاسلام عقدك لم تقل ... بالمذهب المهتوك من نفي الصفه
اوجبت يا مغرور او عطلت اذ ... ضاهيت في الالحاد اهل الفلسفه
ان الوجوه اليه ناظرة بذا ... جاء الكتاب فقلتم هذا السفه
نطق الكتاب وانت تنطق بالهوى ... فهوى الهوى بك في المهاوي المتلفه
فالنفي مختص بدار بعدها ... لك لا ابا لك موعد لن تخلفه

ما انعم تعجب اى أطيب العيشة الحياة لو ان الفتى المتطلب للحياة والمفتدى نفسه من الموت يقبل منه الموت لتتركه فى الحياة اسنا بفتح اوله وكسره وبالمد للضرورة ارفع الرشا بضم الراء جمع رشوة ما يحابى به ويروى يقبل منه موته اسنى الرشا وهى أحسن لكنه لم يقبل فلم تكن المعيشة طيبة كما قال التهامى

حكم المنية فى البرية جارى … ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا ترى الانسان فيها مخبرا … حتى يرى خبرا من الاخبار

طبعت على كدر وانت تريدها … صفوا من الاقذار والاكدار

ومكلف الايام ضد طباعها … متطلب فى الماء جذوة نار ضد

فالعيش نوم والمنية يقظة … والمرء بينهما خيال سارى

وما اكثر حكمة من قول المعرى

تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب فى ازدياد

واللبيب اللبيب من ليس يغتر بكون مصيره للفساد

زحل اشرف الكواكب دارا … من لقاء الردى على ميعاد

والثريا رهينة بافتراق الشمل حتى تعد فى الافراد

وما احسن قول الخباز

قلت للفرقدين والليل ملق … فضل اذياله على الآفاق

ابقيا ما بقيتما فسيرمى … بين شخصيكما بسهم فراق

والبيت مشتمل على الطباق البديعى وقوله اولو غلى بالشباب عمره لم يستبدل الشيب هاتيك الحلى داخل تحت التعجب اى ما انعمه لو دام تحليه بالشباب ولم يبدله الشيب هاتيك الشباب لكن ذلك لم يكن والشيب هو نذير الموت

وعلامة الفوت ولله در ابن واصلة فى قوله

من شاب قد مات وهو حى … يمشى على الارض وهو هالك

لو كان عمر الفتى حسابا … كان له شيبه فذلك

وقال الارجانى

ارى بين ايامى وشعرى قد بدا … لتجعل ايلا فى خلافا يجدد

فقد اصبحت سودا وشعرى ابيض … وعهدى بها بيضا وشعرى اسود

وقال ابن نقاده

ان كان قد اضحى مشيبى ظالمى لا عجبا … ادرب راسى فعلمت ان طيى قد قربا

كذا الكتاب عاجلا يطوى اذا ما تربا

وقال بعضهم واجاد

الا ما يسائرا فى بطن قفر … ليقطع فى الفلا وعرا وسهلا

قطعت نقا المشيب وبنت عنه … وما بعد النقا الا المصلى

ولله در القاضى الفاضل اذ يقول

اليك بعد انقضا اللهو واللعب … عنى فلم ارب ما يقتضى اربى

والعمر كالكاس والايام تمزجه … والشيب فيه قذا فى موضع الحبب

اقول ان عاص منى قبض قصته … يا وحشتا للشباب ذاهب الذهب

او ما انعمه لو تحلى الفتى من تحلى بالشباب عمره جميعه حيث لم يكن بد من الموت ولم يستلبه اى لم ياخذ من الفتى الشيب هاتيك الحلى المفهومة من تحلى ويستعيدها منه فانه لو تحلى بها الى الممات كان الخطب سهلا والمصيبة تهون وتشبيه الفتى بالمقتول والشباب بالحلى والشيب بالمتعدى فى القتل استعارات مكنيات واثبات التحلى والسلب تخييلان والاشارة لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله

سلبه تلميح والجمع بين الشباب والشيب والتحلي والسلب طباق وبين تحلى وتحلى
جناس وقوله هيهات مهما تستعر مسترجع وفي خطوب الدهر للناس اسا
تبغمن استبعاد ما ذكر وبين ان تلك الحلى انما هي مستعارة ومن شان المستعار
ان يعاد الى اهله وعجز البيت يتضمن التسلية والتهوين وماخذ البيت قول بعضهم

وما المال والاهلون الا ودائع ... ولا بد يوما ان ترد الودائع

وقول مسلم

دلت على قولها الدنيا وصدقها ... ما استرجع الدهر مما كان اعطاني

هيهات اسم فعل بمعنى بعد وفيها لغات هيهات بكسر التا منونة وغير منونة
وبفتحها غير منونة وايهات بابدال الهاء همزة مهما مبتدا وهو اسم شرط جازم
واصلها ماما وفعل الشرط تستعر من العارية المبني امرها على الاستعارة فهو مستر جع
لا ريب به جواب الشرط وفي خبر المبتدا وفي خطوب الدهر المذكور سابقا غير
مامرة للناس اسا كما سلف وقوله وفتية سامرهم طيف الكرى فسامروا
النوم وهم غيد الطلا فيه انتقال من اسلوب الى آخر والمقصود به الدخول
على شرح رحلته من وطنه كما سياتي وذكر قدومه على المشاق الواسعة وصبره
على قطع الفيافي الشاسعة حسبما يقتضيه تنشيطه لاصحابه والامر بجد
ركابهم وركابه وقول بعض الشارحين ان ماخذ هذا البيت قول بشار

لم يطل ليلي ولكن لم أنم ... ونفى عني الكرى طيف ألم

غير ظاهر المعنى بل الذي يظهر ان بينهما تباينا في المعنى لان هذا البيت يدل على
ان الطيف اذهب نومه وقد بينا ذلك في صدر الكتاب وبيت الدريدية
يدل على انه ادام لهم النوم حتى صيره سمير الهم وفرق ما بين المعنيين ورب
طيف الكرى فتية جمع فتى وقد سبق معناه والمراد بهم الشبان سامرهم اي سامرهم

ليلا

ليلا وعلى كل منهما فتشبيه الطيف بالصاحب استعارة مكنية واثبات السمر
والمسامرة تخييلية فسامروا حينئذ النوم طمعا في استمرار ما ذكر من مسامرة
الطيف كما يحكى عن بعض اهل المجون انه كان يكثر من النوم فقيل له في ذلك
فقال رايت محبوبي مرة في المنام كاني اداعبه الى ان كاد ان يكون ذلك الشيء
فانتبهت فحصل عندي من الندم ما لا يوصف وها انا اكثر النوم طمعا في وصاله
قال ابن المعتز

اتجرته في المنام معتذرا ... الي مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به ... نبهت لبث الصباح لا كانا

وقول الاحنف بن قيس

واحلم في المنام بكل خير ... فاصبح لا اراه ولا يراني
ولو ابصرت شرا في منامي ... لقيت الشر من قبل الاذان

وقال اخر

وزارني طيف من اهوى على وجل ... من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت اوقظ من حولي به فرحا ... وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيلني ... نيل المنى فاستحالت غبطتي اسفا

والسبب في تاخر المنامات الجيدة وسرعة تحقق المنامات الردية ان القدرة
الالهية المنوطة بالمنامات تعجل البشير بالخير قبل اوانه بمدة طويلة لتطول
مدة الفرح والسرور وتنذر بالشر وتعجله لئلا يطول انتظاره فيزداد
الشخص هما على همه وذلك لطف من الله تعالى لعباده والرؤيا لا تختص بالانسان
بل قد تكون في ذوات الاربع كما ذكره الرئيس ابن سينا ومن فوائده ان الحيوان
كل حيوان مشاء فانه ينام ويستيقظ وكل ذي جفن فانه بطبعه عند النوم

وان الصبي يرى المنامات بعد شهرين ونسيانها ولا يعتد بحلمه الى اربع سنين
ومن الناس من يحلم الى اذ يبين ومنهم من لا يحلم البتة والصبي يضحك بعد اربعين
يوما وذلك اول ما تعقل النفس الناطقة في بدنه ومما يحكى عن بعض
عن بعض المغفلين انه تعب في تحصيل من يهواه مدة طويلة فلما وصل اليه وضع
العاشق راسه ونام فقال له لاي شي تفعل ذلك فقال من عشقي فيك انام
لعلي ان ارى خيالك في المنام وعلى ذكر المنام ذكرت قول السراج الوراق

فسر لي عابر مناما ❊ فقال في قوله واجمل
وقال لا بد من طلوع ❊ فكان ذاك الطلوع دمل

وفي تشبيه النوم بالصاحب استعارة بالكناية ووجهه انه لما كان مجلد
ومظنة لطروق الطيف استحق ان يصاحب ويسامر والحال انهم عبيد
مايلوا الطلا بضم الطاء المهملة جمع طلة او طلوه وهي عرض العنق بوجيب
غشيان النعاس او لكونهم كالمتفنين الى روية الطيف وسماع محادثته
كما هو شان الملتقى سمعه ونظره والشعراء يلهجون بتشبيه مثل هذه الحالة
قال البديع الهمداني

لك الله من جون اجوب جنوبه ❊ كاني في اجفان عين الكرى كحل
كان الدجا نقع وفي الجو جونة ❊ كواكبها جند طوى برها رسل
كان مطايانا سمار كاننا ❊ نجوم على اقتابها برجيا الرحل
كان السرى ساق كان الكرى طلا ❊ كان النها كاس كان المنى نقل

وقال ابن الظهير

اما المطايا في الازمة تقدح ❊ وقد شفها طول السرى حتى زرح
مشى عليها كالنشاوى سواهم ❊ يميل كما اصحوا على السوق اصبحوا

يميل

يميل بهم سكر السهاد كانما ❊ على كل كور غصن بان مرنح

وقال الشهاب المحمود

نشاوى على الاكوار من خمرة الكرى ❊ وكاس الكرى قد الويا بطلاها
كان غصونا في الدجا يميلها ❊ سحيرا على الانضا مر صباها

وله ايضا

براني الهوى حتى توهمني الذي ❊ يرى في خيالا قد سرى في الدجا وهبا
كان على الاكوار افنان دوحة ❊ يميلها مر الصبا غصبا

وله ايضا

لا تزدها على حداها ودعها الا ❊ ن تهوى بين الوهاد نهوتا
ان بين الضلوع منها الى ال ❊ لعب الرقاد دا دوتا
ضمر كالقسي ترمي بشعب ❊ فوقها كالسهام مرمى قصبا

وقال النهامي

وعصابة مال الكرى برؤسهم ❊ مثل الصبا بذوائب الاغصان

واصل المعنى لذي الرمة حيث يقول

ونشوان من طول النعاس كانه ❊ بحبلين من مشطونه تترجح
اذا مات فوق الرحل احييت روحه ❊ بذكراك والعيس المراسيل جنح

وقوله والليل يلقى بالمواي بركه والعيس ينبشن افاحيص القطا مشتمل
على مثل تلك الاستعارات فان تشبيه الليل بالجمل مكنية واثبات الكلكل له تخييلية
وذكر الالقاء ترشيح واول من شبه الليل بالجمل وقسمه الى عجز وجوز وكلكل
امرؤ القيس حيث يقول

فقلت له لما تمطى بجوزه ❊ واردف اعجازا وناء بكلكل

ومنه اخذ الناظم وكذا تشبيه العيس بالمتفحصين من الناس فانها مكثة
واثبات النبث تخييل والماخذ فيه قول امرء القيس ايضا

خفا فهن من انفاقهن كانما ∘ خفاهن ودق من عشي مجلب ∘

والليل ملق جملة حالية بالموامي جمع موماة وهي القفر بركه صدره والعيس
المتقدم بيانها نبيثن يستخرجن النبيثة وهي تراب البير كما قال ابو دلامة

اذا الناس غطوني تغطيت عنهم ∘ وان بحثوا عني ففيهم مباحث ∘
وان نبثوا بيري نبثت بيارهم ∘ ليعلم قوم كيف تلك النبائث ∘

حكي انه مرض وطلب طبيبا يعالجه ووعده بمال اذا اجدى علاجه فعالجه
وبرى فطلب منه المال فاعتذر له بانه لا يملك شيا ولكن ادعى على فلان
اليهودي بما شئت وانا وولدي نشهد لك بذلك ففعل الطبيب واحضر
اليهودي وابا دلامة وولده الى مجلس الحكم ففهم القاضي الامر فانشد ابو دلامة
البيتين المذكورين خشية ان ينظروا اليه بطلب التعديل فمنح القاضي الطبيب
شيئا من عنده ليعرض عن الدعوى افاحيص جمع افحوص بضم الهمزة في المفرد
واضافته الى القطا وهي جمع قطاة لان نسبته اليها نسبة العش الى غيرها من
الطير وقوله بحيث لا تهدى لسمع نبأة الانيم البوم او صوت الصدا
ماخوذ من قول الاعشى

لا يسمع السمع فيها ما يؤنسه ∘ بالليل الا نئيم البوم والضوعا ∘

ومن قوله ايضا

وكم دون بيتك من صفصف ∘ ودكداك رمل واعقادها ∘
ويهماء بالليل عمياء العلاه ∘ يؤنسني صوت نئيم دها ∘

بحيث اي بمحل لا تهدى بالبنا للمجهول توصل لسمع وهو معلوم ومن جملة

الحواس المتقدم ذكرها نبأة صوت الانيم صوت البوم وهو الطاير المعروف
وتخصيصه بالذكر اما لقبح صوته واما لانه لا يالف العمران وانما يسكن الخراب
حكي عن بعض الملوك انه كان مشتغلا بالظلم للرعية وعدم الالتفات
لاصلاح احوالها بانهماكه في اللذات وكان وزيره وجلا لذلك فاتفق
ان ركبا ومرا بمحل فسمع الملك اصوات البوم فسال الوزير عنه فقال
هذا زوج من البوم ذكر وانثى والذكر يقول لانثاه مرادي ان انكح ابني
بنتك ولك ما تطلبين فقالت له انك لا تقدر على ذلك فاني اطلب ان
يكون صداقها من الخراب بلادا كاملة فقال لها ان هذا امر سهل لان
نصف بلدنا هذا خراب بموجب ارتحال اهله عنه من الظلم وان بقيت سنة
تخرب الباقي كذلك فوافقته على ما يريد ولما سمع الملك ذلك من الوزير
فطن لما اراد واقلع عن الظلم بالكلية وتوجه بالعدل الى الرعية وكشف
الله حجاب الغفلة عن قلبه الى ان صار على نور من ربه اصوات الصدا
وهو ما يرد على الشخص من صوته عند تكلمه في نحو الاماكن الخالية كما قال المتنبي

انا الطاير المحكي والاخر الصدا ∘

وقوله شايعتهم على السرى حتى اذا امالت اداة الرحل بالجبس الدوى قلت
لهم ان الهوينا غبها وهن نجدوا تحمدوا عقب السرى فيه عقد للمثل وهو
عند الصباح يحمد القوم السرى وماخذه قول النابغة

يعدن مع امره يدع الهوينا ∘ ويعمد للمهات الكبار ∘

شايعتهم تابعتهم على السرى المتقدم بيانه حتى اذا امالت انعطفت
من الميل ضد الاستقامة اداة الرحل ما يولي ظهر الدابة من نحو البرذعة بالجبس
الرجل الضعيف الجبان الدوى الاحمق بموجب كسله وعدم تيقظه اللايقة

بالاستعارة قلت لهم ان الهوينا الرفق غبتها المتقدم تفسيره وهن ضعف وهو غير محمود لما يتضمنه من ادراك المطالب و التقاعس عن المآرب فجدوا في السير واجتهدوا تحمدوا عاقبة السرى بعد ذلك وان تضررتم به حالا ولا خفا في ان مغبة الهوينا قد تحمد في بعض الأحوال كما قد يذم الحمدي الاستعجال ولقد انصف من قال

قد يدرك المتأني بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل
وقد يفوت على قوم مطالبهم ... من التأني وكان الحزم لو عجلوا

وفي المثل من تأنى نال ما يتمنى نعم ما كان من الهوينا ناشئا عن الكسل فهو من اسباب الخذلان والفشل فان الكسل منشاء القصور في الهمة لاسيما عند حلول المهمة وما سمع فيه مثل قول القائل

دعوت الله يحمني بليلى ... ويسلبها ويلقيني عليها
و أرزق من بحر كفي بلطف ...
ويأتي بعد ذاك سحاب غيث ... يطهرني ولا أسعى عليها

والبيت مشتمل على الطباق البديعي الحاصل من الجمع بين الهوينا والجد وبين ذم تلك وحمد هذا وقوله وموحش الأقطار طام ماؤه مدعثر الأعضاد مهدوم الجبا كانما الريش على أرجائه زرق نصال أرهفت لتمتهي وردته والذئب يعوي حوله مستك سمع من طول الطوى تضمن وصف الحوض الذي ورده في طريقه والمقصود بذلك الاخبار بانه وصل الى محل لا يصل اليه الا الطير والذئب بموجب بعده وعدم الاستئناس به ومعنى البيت الاول ماخوذ من قول النمير بن تولب

افرغت في حوضها ما لتشربه ... في مائر خلق الاعضاد اهدام

ومعنى الثاني ماخوذ من قول الاعشى

وقليب اجن كان من الريش ... بارجائه سقوط نصال

ومعنى الثالث ماخوذ من قول الحارثي

وماء مكان الطحلب الجون فوقه ... طروقا على أرجائه ثابر الغسل
وجدت عليه الذئب يعوي كانه ... خليع خلى من كل مال ومن أهل
فقلت له يا ذئب هل لك في اخ ... يجازي بلا غرم عليك ولا خذل
فقال هداك الله انك انما ... دعوت لما لم يأته سبع قبلي
فلست بآتيه ولا استطيعه ... ولاك اسقني ان كان ماؤك ذا فضل

طام مرتفع نفت مجي لجريانه على غير من هوله وهو ماؤه اى انه لكثرته طما وارتفع حتى كاد ان يتدفق مدعثر مهدوم الأعضاد ما ينصب حول شفيره من الحجارة الواحد عضد مهدوم الجبا وهو ما حول البير من البنا كانما الريش الذي انتسل من الطير لا لغرابه حيث لم يهتد اليه احد على أرجائه نواحيه زرق نصال من اضافة الصفة الى الموصوف اى نصال زرق ونصل السهم حديدته أرهفت صقلت لتمتهي تسقى بالماء لتحد قال الشاعر

ترى ريش الحمام بجانبيه ... كما تلقى الى الصنع النصال

وردته اتيته من الورد وهو الاتيان والذئب يعوي يصيح والجملة حالية حوله بقربه حال كونه مستك ضيق سم ثقب السمع وهو اما القوة المنبثة في العصبة المفترشة في الصماخ او الاذن نفسها من طول تقادم الطوى المتقدم ذكره وبيان معناه والظرف اما متعلق بيعوي او بمستك وقوله ومنتج أم ابيه أمه لم يتخونوا جسمه مس الضوى افرشته بنت أخيه فاتنتت عن ولد يورى به وتشتوي كلام لا طائل تحته وانما هو كقول القائل قماقم لبس

بها طايل كانها شعر الابيوردي ومحصله ذكر الزند الاعلى وذكر صاحب الغرض
وكيفية وري النار ان العرب اذا ارادوا استخراج النار اخذوا غصنين من
شجر المرخ يدخل احدهما في الآخر ويحك فيه حتى تخرج النار ويقال للاعلى منهما
الزند وللاسفل صاحب الغرض ويسمى الزندة ايضا فاشار الناظم الى ذلك
ومأخذه قول ذي الرمة

وزند كعين الديك عاورت صحبتي … اباها وهيأنا لموضعها وكرا
ابوها اخوها والصوى لا تضرها … وساق ابيها امها اعتقرت عقرا
وقد انتجت من جانب من جنوبها … عوانا ومن جنب الى جنبها بكرا

ورب منتج بالبنا للمفعول والمراد به النار لانها نتيجة الزند والزندة
وروي ومنتجى بالقصر وهو الغصن المقطوع من فرع شجرة اي ومختار أم
أبيه الشجرة وان اباها الذي هو الفرع ولدها أمه ايضا فهي ام لهما كذا قال بعض
الشارحين وهو خطأ لان المنتج على كلامنا اما ان يراد به الغصن او النار فان
اريد به الاول لم يساعده قوله لم ينجون ينتقص حبسه من الصوى اي لم يضره
مس الهزال المعهود في نكاح الاقارب الوارد فيها قوله صلى الله عليه وسلم اغتربوا
لا تضووا وقول الشاعر

الا فتى نال العلا بهمة … ليس ابوه بابن عمه
ترى الرجال تهتدي بأمه

لان النقص انما يقع في جسد المولود لا في جسد ابيه كما قال الشافعي رضي الله
عنه من نكح من قرابته الادنين خشي عليه ان ياتي الولد نحيفا وان اريد الثاني
لم يساعده قوله أورثته جعلت بنت اخيه وهي غصن من فرع اخر من
تلك الشجرة المسمى بالزندة كما قاله هذا الشارح فراشا له اي زوجة لان صاحب

الفراش انما هو الغصن الاخر لا النار ولانه مناف لقوله فانتشت عن
ولد انما المراد به النار فكيف تكون نتيجة لنفسها فان قلت ما الدليل على ان المراد
به ذلك قلت الدليل عليه قوله يوري يستضاء به ويشتوى به اللحم لان
ذلك لا يكون الا لها على انه معترف بهذا المراد فان قلت فما المعنى المرضي
عندك بعد تزييف اقوال الشارحين قلت يحتمل ان يكون المراد بالمنتج
فرسا جوادا ولا يحتاج الى تكلف في تصوير كون ام ابيه أمًّا له لاحتمال كون
ابيه قد علاها واتى به ولم يحصل له هزال ولا ضوى ثم علا هذا الجواد
اخته وكانها بنت ابيه هي بنت اخيه ايضا لصيرورة ابيه اخا له من
حيث ولادة الام لكل منهما فانتشت منه بولد جواد يقدح الجلمد بحافره فيوري
نارا يشتوى بها اللحم وقد تقدم انها تسمى نار الحباحب ومثل هذا مما يعايا به
الناس وقوله ومرقب مخلولق أرجاؤه مستصعب المسلك وعر المرتقى
اوفيت والشمس تمج ريقها والظل من تحت الحذاء يحتذى البيت الاول
تقدم معناه في قوله اوصابت القانت في مخلولق مستصعب المسلك وعر
المرتقى وانما هذا يشتمل على التفصيل البديعي والبيت الثاني مأخوذ من قول
ابي النجم العجلي … فالظل عن اخفافه لم يفصل … ومن قول العجاج

… وانتقل الظل فصار جوربا …

ورب مرقب مفعل وهو جبل سمي بذلك لانه يرقب فيه العدو ونحوه
مخلولق سبق بيانه ارجاؤه تقدم الكلام عليه مستصعب المسلك وعر
المرتقى مر شرحه اوفيت صعدت كما قال الشاعر

ربما اوفيت في علم … ترفعن ثوبي شمالات

والشمس وقت حموها لما تقوم قائم الظهيرة تمج تلقي ريقها لعابها الشبيه بنسج

العنكبوت كانه نجد رمن السماء وهو مما تهجى به الشمس قال ابن سنا الملك

لاكانت الشمس فقد اصدأت ... صفحة خدّ كالحسام الصقيل
وكم وكم صدت بوادى الكرى ... طيف خيال جآنى من خليل
واعدمتنى من نجوم الدجا ... ومنه رفقا بين ظل ظليل
تكذب فى الوعد وبرهانه ... ان سراب القفر منها سليل
وتحسب النهر حساما فترتا ... ع فتحكى فيه قلب الذليل
ان صدأ القلب فى صقله ... الا التحلى بمحيا جليل
وهى اذا ابصرها مبصر ... حديد طرف عاد عنها كليل
يا غلة المهموم يا جلده المحموم يا زفرة صب نحيل
يا قرحة المشرق فى وقت الضحى ... وسخلة المغرب عند الاصيل
انت عجوز لم تبرجت لى ... وقد بدا منك لعاب يسيل
وانت بالشيطان قرنانه ... فكيف يهدينا سوآ السبيل

وقوله وسخلة المغرب فى معنى قول الشريف الجوبانى

انظر الى الشمس وقد عممت ... روس الهضاب الصلع بالاصفر
كانها فى الجو فلاعة ... وحار فلاح عليها خرى

ولما كان لعابها انما يسيل وقت ارتفاعها وشدة حرها وهو وقت استوائها فى كبد السما قال **والظل من تحت الحذا** اى النعل سميت بذلك لانها تحذى اى تقطع **يحتذى** يقطع وفى رواية يحتذى والمعنى ان ظل الانسان صار تحت نعله حتى كانه قطع على مثالها والبيت مشتمل على الاستعارة المكنية بتشبيه الشمس بامرءة وعلى التخييلية باثبات الريق لها وعلى الترشيح بذكر المج وعلى الجناس بين يحتذى والحذا وقوله **وطارق يونسه الذيب اذا**

تصور

تصور الذيب عشا وعوى أوى الى نارى وهى مالف يدعو العفاة ضوءها الى القرى البيت الاول ماخوذ من قول الاحمر السعدى

عوى الذئب فاستأنست بالذيب اذ عوى ... وصوت انسان فكدت اطير

والثانى ماخوذ من قول الشاعر

رفعت له نارا ثقوبا زنادها ... بليح الى السارى هلم الى قدرى

وفى تشبيه نار بالجواد استعارة مكنية واثبات القرى لها تخييل وذكر الدعوة ترشيح وقد اكثر الشعراء من الاستعارات فى النيران قال ابن حرور

قوم اذا جاء الضيوف جفانهم ... ردت عليه السن النيران

وقال الغزى

اذا التجا الليل بالالواء واحتجبت ... زهر النجوم فظل الخافق الوقع
دعت نار مغانيهم بألسنة ... فوق الهضاب من شدوق الاكم شفع

وقال الاربلى

يبيتون فى المشتى خماصا وعندهم ... من الزاد فضلات تعد لمن يقرى
اذا اضل عنهم طارق رفعوا له ... من النار فى الظلما ألوية حمرا

وقال ابو طاهر البغدادى

خطرت فكان الورق تسجع فوقها ... ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الثريا ... للطارقين ذوائب النيران

ولابن خفاجة

حمرآ نازعت الرياح رداءها ... وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سمآء من دخان فوقها ... لم تبد رفيه شعلة من كوكب
وتبسمت عن كل نفحة جمرة ... باتت بها ريح الشمال بمرقب

قد الهبت فذهبت وكانها ... شقرا تمرح في عجاج اكهب

ولمحمد بن عطية

بتنا نديرالراح في شاهق ... ليلا على نغمة عودين

والنار في الارض التي دوننا ... مثل نجوم الجو في العين

فياله من منظر مونق ... كانتا بين سماءين

ورب طارق ضيف ياتي ليلا ولذا وصف النجم بالطارق كما قال الشاعر

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق

يونسه الذيب اذا تضور صاح من الجوع الذيب عسا وقت العشا وعوى عطف تفسير وذلك لانه قد اليس من سماع الاصوات حتى كانه ليستانس بصوت الوحوش اوى بالمد والقصر التي ناري الموقودة للقرى وهي مالف للزوار والاضياف فلا بدع اي باوى لها والجملة حالية يدعو العفاة الطالبين للمعروف ضوءها التشبيه باللسان على طريق المكنية وتضوبته بالالفاظ والكلام التي يدعى بها الى القرى بكسر القاف الضيافة قال الشاعر

فضاءت له ناري فابصر ضوءها ... وما كان لولا حضرة النار يبصر

دعوت بغير اسم هلم الى القرى ... فاسرى يبوع الارض والنار تزهر

وقوله لله ما طيف خيال زائر تزفه للعين احلام الروى فيه انتقال من اسلوب الى اخر ويحتمل ان يكون المراد به الطارق المتقدم ذكره ولا ينافي ذلك سابقا من الاستئناس ولا يوول على الوجه المرجوح لاحتمال ان يكون كل ذلك بحسب الرويا ويويده ماسياتي من جوب الاجواز حيث كان مبنى الامر على المجاز ويحتمل ان يكون المراد به الطيف المسامر المتقدم ذكره من باب الاكتفا ومعنى البيت ماخوذ من قول ابي تمام الطائي

زار

زار الخيال لها لا بل ازاره له ... فكرا ذا نام فكر الخلق لم ينم

ظبي تقنصته لما نصبت له ... في آخر الليل اشراكا من الحلم

وهذا البيت الثاني تقدم ذكره في صدر الكتاب لله لا لغيره ويستعمل مثل ذلك في التعجب ما زائدة طيف سبق الكلام عليه خيال ما يشبه من الصور للانسان في اليقظة والنوم وعلى هذا فالاضافة اليه بيانية ويحتمل ان يراد بالخيال ما ليس له حقيقة خارجية بل يكون امرا وهميا فالاضافة لامية زائر للمحب وفيه استعارة مكنية لتشبيه المحب بالسقيم والطيف بالزائر الذي هو العائد تزفه توصله العين ذكرها مجازا اذ هو لا يصل اليها وانما يصل الى الذهن والى القوى الباطنة حسبما سنفصله اللهم الا ان يعتذر بان المبالغة والبلاغة يقتضيان ذلك وسيما حيث كان مع انطباق الجفن المقتضي لعدم وصول الخيال للعين قال ابن النقيب

نصبت جفوني للخيال حبائلا ... لعل خيالا في الكرى منك يسنح

وكيف اذا اغمضتهن اصيده ... ومن اعين الاشراك للصيد تفتح

اخذه من قول ابن سنا الملك

سرى طيفه لا بل سرى بي سراته ... وقد طار من وكر الحلام غرابه

وما كان يدري الطيف قبل طروقه ... بان انفتاح الجفن كان حجابه

واورد ابن الاثير في المثل قول بعضهم

فالطيف يابى دخول الجفن منفتحا ... وليس يدخله الا اذا انطبقا

ثم قال رايت ابن حمدون البغدادي صاحب التذكرة قد اورد هذين البيتين في كتابه وقد اعرب هذا الشاعر ولكن خلط وجرى على عادة الشعراء ان الطيف

لايدخل الجفن ولكنه يتخيل الى النفس وهذا كلام من لم يطعم من ثمرة الفصاحة والبلاغة
وليس مثله عندى الا ما يحكى عن ملك الروم انه انشد عنده قول ابى الطيب
المتنبى

كان العيس كانت فوق جفنى ، مناخات فلما ثرن سالا

فسأل عن المعنى ففسرله فقال ما سمعت باكذب من هذا انك عمر ارأيت من
اناخ الجمل على عينيه لا يهلكه احلام جمع حلم ما يرى فى النوم وتشبيهها بالاحلام
مكنية والزف تخييل للخيال تخييل واضافتها الى الترّوى جمع رويا بيانية واعلم
ان القوة المتخيلة الحالة بالبطن المتقدم من الدماغ هى المتصرفة فى تصور الاشياء
وفى صورها فان الانسان اذا نام تصرفت القوة المتخيلة فيما هو مرتسم فى الصور
لغرب الهدبيه ويسمى ذلك اتصال الحس بالخيال كمن راى انه ياكل فى النوم
شيأ فيستيقظ وطعمه فى فيه وربما كانت القوة الفكرية مفكرة فى امر من الامور
فى اليقظة فتتصرف المخيلة فى النوم ويسمى ذلك بحديث النفس وبالوسواس
فلذلك قيل قل ان تصدق رويا الشعرا لانهم لايزالون يستعملون تخيلتهم
فى اليقظة كثيرا فيما يحاولونه من معانى التشبيه والاستعارة ونحو ذلك وربما
تغير المزاج عن الروح الحامل للقوة فيختلف الحال بحسب ذلك التغير فان
غلب على مزاجه الدم رأى الاشيا الحمر ومن غلب عليه البلغم راى الامطار
والسيول والمياه ونحو ذلك ومن غلب عليه الصفرا راى الاشيا الصفر والاشيا
الحارة ومن غلب عليه السودا راى الاشياء السود من نحو الدخان والظلمات
ومن غلب عليه عفونة الاخلاط راى الاماكن المنتنة ويقاس على ذلك ومثل
ذلك كله مثل رويا الشعرا وربما فاضت من مواهب الصور على المتخيلة حال
النوم امثلة تدركها النفس وهذه هى التى تؤول بتطبيق ذلك المثل على ما تقصد

٤٠

به وربما افاض الله المقصود بغير مثال ويسمى رويا المثل بالمثل وقد الف
فى ذلك جالينوس واشار اليه ابن عربى فى فتوحاته المكية وهو الذى اشار
اليه الشاعر بقوله

له آمر بالرشد فى يقظاته ، وفى النوم يهديه لخير الطرائق
فان قام لم يدأب لغير فضيلة ، وان نام لم يحلم بغير الحقائق

وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يرى الرويا الا جاءت كفلق الصبح وهى
اما اشارة او نذارة فلذلك قال صلى الله عليه وسلم لم يبق من الوحى الا
الرويا الصادقة وقال صلى الله عليه وسلم الرويا الصادقة جزء من ستة
واربعين جزأ من النبوة ومعنى ذلك انه صلى الله عليه وسلم عاش ثلاثا
وستين سنة وبعث على راس الاربعين فمدة نبوته ثلاث وعشرون سنة
وكان يوحى اليه مناما قبل البعثة بستة اشهر وهى نصف سنة فاذا نسبت الثلاث
والعشرين سنة كانت جزأ من ستة واربعين وبذكر الخيال والمامه ذكرت
قول البحترى

بلى وخيال من اثيلة كلما ، تاوهت من وجدى تعرض يطمع
ترى مقلتى ما لا ترى من لقائه ، وتسمع اذنى رجع ما ليس يسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل ، ترد به نفس اللهيف فترجع

وحكى ابن القطان انه دخل يوما على الوزير وعنده الحيص بيص فقال عملت
بيتين لايمكن ان يعمل لهما ثالث فقال الوزير ما هما فانشد

زار الخيال بخيلا مثل مرسله ، فما شفانى منه الضم والقبل
ما زارنى قط الا كى يوافقنى ، على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما تقول فى دعواه فقال ان اعادها سمع لها ثالثا

فاعادها فقال الحيص بيص

وما درى ان نومي حيلة نصبت ... لطيفه حين اعيي اليقظة الحيل

ولبعضهم

ضمت خيالك لما اتى ... وقبلته قبلة المغرم

فقمت ومن فرحتي باللقا ... حلاوة ذاك اللما في فمي

واكثر الادباء من النظم في وصول الخيال وفي امتناعه وفي منعه عن الوصول

فمن الاول قول بعضهم

الطيف اعشق منك اذ ... يأتي اليك وانت راقد

ومن الثاني قول كشاجم

لقد بخلت حتى بطيف مودع ... علي وقالت رحمة لنحيبي

اخاف على طيفي اذا جاء زائرا ... وسادك ان يلقاه طيف رقيب

ومن الثالث قول طرفة بن العبد وهو اول من طرد الخيال

فقل لخيال الحنظلية ينقلب ... اليها فاني فاصل حبل من وصل

وتبعه جرير فقال

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعي بسلام

ورد عليه الصفدي بقوله

يا خجلة لجرير من ... قول كفاه الله عاره

طرقتك صائدة الفؤاد ... وليس ذا وقت الزياره

هل كان يلقى ان اتاه ... خيال من يهوى خساره

او كان قلب قد حوا ... ه من حديد او حجاره

وبالغوا في وصف النوم بالقيادة كما قال ابن المعتز

الم

٨٦

الم الخيال بلا جحده ... وابدلني الوصل من صده

وكم نومة لي قوادة ... انت بالحبيب على بعده

وهو بالمعنى قريب من قول بعضهم

لو ان طيفك في المنام انيسي ... ما بت اشكو وحشتي لجليسي

فرادا على حمزة ريقه ... ولحاظه وحديثه المأنوس

ما عمد لي في قربه وحضوره ... وو فائه الا على ابليس

وفي معناه قول ابن جعفر السفطرنجي

قل لمن شئت انني بك مغرى ... ثم دعه يروضه ابليس

واصل المعنى لابي نواس حيث يقول

عجبت من ابليس في تيهه ... وخبث ما اضمر في نيته

تاه على آدم في سجدة ... وصار قوادا لذريته

وتبعه من قال

علام تتيه ابا مرة ... وتزهو كثيرا على آدم

وانك في الخزي من بعده ... تقود على جملة العالم

ونقل بعضهم هذا المعنى من الهجو الى المدح فقال

تركت هجا ابليس ثم مدحته ... وذاك لامر عن عندي سلوكه

يقرب من اهواه حينا فانني ... حكاه خيالا في الكرى فانكه

وقوله يجوب اجواز الفلا محتقرا هول دجا الليل اذا الليل انبرا فيه اظهار احسانه وذكر امتنانه وان قلب هذا المعنى القاضي الفاضل فقال من جملة كلام طويل هذا ان الطيف لا اعتداد له بمنة وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الى اعطاف القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال

وعنو بخيال الحبال وحلوا عين السهب دوان ودنى واطراف القسى دوان وكيف
اعتدل له والفكر يدنيه وانا يقظان ويمثل مالم يكن من قربه كما مثلت العين منه
ماكان ويخليني منه ورب احباب خالين منه دونى ويوحدنيه وانا وهن
شوق لو طلبونى عنده ما وجدونى انتهى ومن المعلوم ان الطيف يجوب الآفاق
فى طرفة عين كما حكى عن بعضهم انه سئل عن قول النبى صلى الله عليه وسلم من
رانى فى منامه فقد رآنى حقا فقال السائل فى الليلة الواحدة بل فى الساعة
الواحدة يراه جماعة فى اماكن شتى من اطراف الارض فقال نعم هو كالشمس
فى كبد السما محلها وشعاعها فى سائر الافاق واما الشرف بن عنين فقد بالغ
فى توصيف الخيال بالقصور فى قطع المسافة لما كتب الى اخيه مضمنا البيت الثانى
وهو لابى العلا

صافحت كتبك فى القطيعة عالما ۞ ان الصحيفة اعوزت من حامل
وعذرت طيفك فى الجفاء لانه ۞ يسرى فيصبح دوننا بمراحل

جوب يقطع اجواز الفلاة اوساطها باعتبار ما يعترض فيها مما سياتى حال كونه
محتقرا هول دجا الليل غير مبالى بمخاوفه مستصغرا لها اذا الليل انبرا اعترض
فى الوسط تشبيه بمانع وحجاب معترض استعارة مكنية واثبات الاعتراض
له تخييل وذكر القطع فى اول البيت ترشيح وقوله سائله ان افصح عن انبائه
انى تسدى الليل ام انى اهتدى ماخوذ من قول على بن جبلة

طيفا ماهداك لنا ۞ منتقبا فى بقية الظلم
كيف تسديت عرض مهمه ۞ الى محل التوى من الحرم

وقال معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب

طرقت سمية والمزار بعيد ۞ وهنا واصحاب الرحال هجود

انى اهتديت وكنت غير رجيلة ۞ والقوم منهم نبه ورقود

سائله اى الخيال يا ايها المخاطب الخطاب العام ان افصح من الفصاحة وهى الابانة
عما فى الضمير اى ابان عن انبائه بفتح الهمزة اخباره انى من اين تسدى الليل
ركب متنه وفيه تشبيه الليل بالمركوب على طريق المكنية والركوب تخييل ام انى
اهتدى الى زيارتنا على بعد بيننا وبينه وقوله او كان يدرى قبلها ما فارس
وما مواميها القفار والقرى من قبيل تجاهل العارف البديعى والمقصود به
تعظيم ما قطعه من الفيافى حتى وصفها بانها لا يسلكها الا مجرب عارف بها او لو
قال الكان يدرى يعلم الخيال قبلها اى الزورة الموهومة من زاير المتقدم ما فارس
وهى البلد المعروفة التى حل الناظم بها كما اسلفناه لكان اولى وهل كان يدرى ما
مواميها قفارها جمع موماة القفار بدل وكذلك القرى المتقدم بيانها وفى
جمعها مع ما قبلها طباق وقوله وسائلى بمزعجى عن وطنى ماضاق بى جنابه ولا
نبا يتضمن ثناه على وطنه وحبه له وقد ورد حب الوطن من الايمان وحكى عن
ملك مصر انه كتب الى صاحب مكة الشريف عجلان ان يصل الى مصر فكتب
اليه الجواب يقول

بلادى وان جارت على عزيزة ۞ ولو اننى اعرى بها واجوع

فان قلت قد تقدم فى صدر المقصورة ما يدل على ان وطنه نباه من شكوى الحال
وكثرة الارتحال والانتقال قلت تلك الشكوى انما هى من الدهر وسياتى عقب
هذه الابيات ما يدل لذلك من قوله لاعزو ان نحز زمان جائر ورب سائل لى
بمزعجى عن مخرجى كقول الشاعر

فان يسألونى بالنساء فاننى ۞ بصير بادواء النساء طبيب
اذا ابيض شعر المرء او قل ماله ۞ فليس له فى ودهن نصيب

وقال الله تعالى واسأل به خبيرا عن وطني وهو موضع اقامة الشخص ما ضاق بي جنابه فناوه ولاتنا بي تجافى بي حتى لا استقر به وفيه مع قوله قلت القضا مالك أمر الفتى من حيث لا يدري ومن حيث دري المراجع البديعية ومأخذ هذا قول الأسدي

ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضا بحيلة الاقوام

وفي المثل اذا نزل القضا عمي البصر قلت له القضا السابق ذكره مالك أمر القضا ومتصرف فيه من حيث لا يدري ملكه بل ومن حيث دري وفي الجمع بينهما طباق ولما كان هذا الجواب اجماليا فصله بقوله لا تسألني وسل المقدار هل يعصم منه وزر او مدري وفيه اشارة الى قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله الآية اي ان سوالك غير متوجه الي فان سألت فينبغي ان تسأل القدر لا تسألني بنون التوكيد وسل وفي رواية واسأل وبينه وبين سابقه طباق المقدار السابق ذكره هل يعصم يمنع وزر موضع حصين ومنه كلا لا وزر او مدري بالدال المهملة او معجمة ما يدري به من رؤس الجبال للتيعصم منه ذلك وقوله لابد ان يلقى امرؤ ما خطه ذو العرش ما هو لاق ووحي ومأخذه قول الشاعر

ولا تقولن لشيء سوف افعله قد قدر الله ما كان امرؤ لاقي

لابد حتما من ان يلقى امرؤ من لقائه ما خطه كتبه في اللوح المحفوظ من السعادة والشقاوة ذو العرش المجيد جل وعلا ما هو اي المرء لاق من المقدورات والمكتوبات ووحي عطف على خط عطف تفسير لانه بمعنى كتب ولا مفر عن القدر كما قال ابن الرومي

واذا خشيت من الامور مقدرا فهربت منه فنحوه تتوجه

وقوله

وقوله لا غرو ان لج زمان جائر فاعترق العظم المخ وانتقى فيه اشارة الى دفع سوال يرد وهو انه اذا لم يضق بك وطنك فما وجه شكواك في أول المقصورة من كثرة الاغتراب ومفارقة الاحباب فاجاب بان الشكوى انما هي من الزمن الذي هو مورد المحن ومع ذلك فهو يعتذر عنه بانه لا غرو في فعله لسرعة تقلبه واتيانه بالحسنة بعد السيئة كما اشار اليه بقوله فقد ترى القاحل مخضرا وقد تلقى اخا الاقتار يوما قد نمي ومعنى قوله لا غرو لا عجب أن بفتح الهمزة لج لزم ومنه من لج ولج زمان جائر مايل عن العدل والانصاف فاعترق العظم اخذ لحمه عنه المخ الكثير المخ وانتقى استخرج النقي وهو المخ واشار الى وجه عدم التعجب من ذلك بقوله فقد ترى القاحل اليابس مخضرا مخضلا وقد تلقى اخا الاقتار الفقر والحاجة يوما قد نمي كثر ما عنده فمن كان شانه ذلك لا يعجب منه فانه لا يستمر على حالة واحدة ومأخذ البيت قول ابي جني

قد يقتر المرء يوما بعد ثروته ويكتسي العود بعد اليبس بالورق

وفيه من البديع المطابقة بين القاحل والمخضر والنمو والاقتار وقوله يا هل ترى هل تدرين لنا ناقبة البرقع عن عيني طلا فيه ايما وتكنية عن الطيف الذي الم به واورده على طريق الاستفهام التقريري لتذهب الى فهم معناه النفوس كل مذهب وما اظن في القصيدة اسلس ولا اعذب من هذا البيت يا هوليا نداء لمصغر هولاء المقصور كقول الشاعر

ان يسال السائل ما هولا اعجب عن المسؤل والسائل

واما تصغير الممدود فهو بالمد كما قال الشاعر

يا ما اميلح غزلانا شدن لنا من هوليائكن الضال والسمر

هل تُعدّتن طلبتى وسألتنى لن خودا ناقبة خارقة البرقع بضم القاف وبفتحها
ويقال فيه برقوع وهو ثوب يجعل على الوجه والخرق الذى فيه على محاذاة العين يسمى
الوصواص وخيط الذى شد به يقال له الشبام لتكشف عن عينى طلا بفتح
الطاء المهملة وهو ولد البقرة وولد الظبية والبرقع مدحه بعضهم وذمه
البعض الاخر قال مثقب العبدى

اذا ما جئن السوالف مصغيات … وثقبن الوصاوص للعيون
ارين محاسنا وكنن اخرى … من الاجياد والبشر المصون

وقال الطائى

اذا بارك الله فى ملبس … فلا بارك الله فى البرقع
يوارى الملاح ويخفى القبا … ح فهذا يضر ولم ينفع
يريك عيون المها غرة … ويكشف عن منظر اشنع

وقوله ما انصفت ام الصُّبيين التى أُصْبَتْ اخا الحلم ولما يصطبا فيه
اعتراف بالجناية ورد الملامة على المحبوب ووجهه انه عند رؤيته لا يملك نفسه
ولا يقدر على منعها عن الهوى فلذلك قال بعضهم

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع

والاصل قول امرء القيس

الى مثلها يرنو الحليم صبابة … اذا ما اسبكرت بين درع ومجول

ما انصفت عدلت ام الصُّبيين بضم الصاد المهملة المشددة وهى كلمة تمدح بها
المراة الكاملة العقل قال الشاعر

لقد علمت ام الصُّبيين اننى … الى الضيف قوام السناة خروج

ويطلق الصبيان على الحرصان وانا نظر العين فهو صبى بفتح الصاد التى اصبت

حملت

حملت اخا الحلم العقل على فعل الصبيان ولما يصطبيا يفتعل من الصبا وهو
جار على المبالغة (اللغة) التى قرء بها فنبل قوله تعالى انه من يتق ويصبر وعليها قول
الشاعر

الم يأتيك والانباء تنمى … بما لاقت لبون بنى زياد

وفى الجمع بين الحلم والصبا طباق بديعى وقوله استحى بيضا بين افوادك ان
تقتادك البيض اقتياد المهتدى فنه من البديع الالتفات من الغيبة الى
الخطاب والتجريد لان المقصود خطاب نفسه بذلك والتوبيخ للنفس وهذا
المعنى متداول بين الشعرا قال بعضهم

عميرة ودع ان تجهزت غاديا … كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وقال ابو العتاهية

نزه مشيبك عن عيب يدنسه … ان البياض قليل الحمل للدنس

استحى فعل امر على لغة اهل الحجاز فى حذف الياء الثانية شعرات بيضا كائنة
بين افوادك جمع فود وهو جانب الرأس اى لاجلها من ان تقتادك تقودك
النسا البيض اقتياد المهتدى الاسير ولو قال المقتدى لكان اولى وقوله هيهات
ما اشنع ها انا ذا له اطربا بعد المشيب والجلا زيادة فى التوبيخ وذكر
التقبيح وهو ناظر الى قول العجاج

بكيت والمحتزن البكى … وانما ياتى الصبا الصبى
أطربا وانت قنسرى … والدهر بالانسان دوارى

وقريب منه قول من قال

ان الشبيبة تبدى عذر صاحبها … ما عذر اشيب يستهويه شيطان

هيهات تقدم الكلام عليها ما اشنع واقبح ها انا هذه ذلة سقطة وخطيئة

ونصه على التمييز اتطرب طربا اتفرح فرحا بعد المشيب وحلوله بك وبعد الجلا
انحسار شعر مقدم راسك حتى يبلغ النصف لا طرب حينئذ واضرب عما تقدم الى
ذكر الخمرة واوصافها بقوله بل رب ليل جئت قطربلي بنت ثمانين عروسا
تجتلى والمراد بذلك ما وقع في زمن الشبيبة بدليل التشبيع السابق وبدليل قوله
فيما سياتي حاشا لما اساره في نجا البيت فان توبته قد ثبتت كما نقله السيوطي
رحمه الله تعالى بل رب ليل سابق جئت قطربلي المتقدم بانها لي خمرة بنت
ثمانين سنة والعدد لا مفهوم له كما هو مقرر في الاصول وانما المقصود
بذكره التكثير والتعظيم كقوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة الاية وقول
بعض الشارحين لان من شربها حلبه ثمانين غير واضح لمنافاة ذكر البيت له
نعم لو قال ام ثمانين كان واضحا باعتبار تفرع الثمانين عليها عروسا منصوب
على المدح وجميع ما قبله فيه ايهام التضاد والعروس بعفرها يطلق على الذكر
والانثى والعروس معروفا وسال الناظم ابا عثمان عن اشتقاقه فقال تفاولا
من قولهم عرس الصبي بامه اذا الفها تجتلى تظهر وتبرز وهو تخييل للاستعارة
ووصفها بقوله لم يملك الماء عليها امرها ولم يدنسها الضرام المحتضا
وهو ماخوذ من قول ابي نواس

اسقني صهباء صرفا ۰ لم يدنسها المزاج

ومن قوله ايضا

بنت عشرين لم تعاين ۰ غير نار الشمس نارا

ومن قول الاقيشر

وصهباء جرجانية لم يطف بها ۰ حنيف ولم تنفر بها ساعة قدر
ولم يحضر القس المهينم نارها ۰ طروقا ولم يشهد على طبخها حبر

لم يملك بكسر الماء عليها امرها حدتها لمزجه فهي صرف غير ممزوجة وقد تقدم الخلاف
في الممزوجة وغيرها ولم يدنسها يوسخها الضرام ما تشتعل به النار المحتضا من حضأت
النار اذا حركتها بعود لتزداد اشتعالها وقوله حينا هي الداء واحيانا بها من
دائها اذا ابهج يشتفي ليس في كثير من الروايات وهو ماخوذ من قول الاعشى

وكاس شربت على لذة ۰ واخرى تداويت منها بها

وقد اخذه ابو نواس في قوله

دع عنك لومي فان اللوم اغراء ۰ وداوني بالتي كانت هي الداء

واستشهد النابغة في قوله

فبادرها الراقون من سوء سمها ۰ فتطلقه حينا وحينا تراجع

ومعنى ذلك كله ان صاحبها يصيبه الخمار فاذا عاد وشربها برئ حينا وقتا
هي الداء باعتبار خمارها ولكن اذا وقع ذلك حينا واحيانا متعددة بشربها
عللا من دائها الحاصل بشربها وهو الخمار اذا ابهج يتجرى ويتقوى يشتفي ووجه
ذلك ان نشاة الشراب الاول قد انكسرت سورتها بابطال قوى الخمرة فيحصل فتور
وكسل فاذا اعل ثانيا حصلت نشاة اخرى مستجدة سيما والمحل قابل بموجب استعداده
لقرب العهد وعلى هذا لا يزال صاحبها مستمر السكر لانه كلما فتر عمل الاول عليه
قواه بالاخر وهكذا وهذا مذموم طبا لما يؤدي اليه من تعكر الدم وثخنه وصيرورته
الى شبه الدردي فيترتب عليه ما يترتب من الامراض السوداوية لاحتراق الرئة
بذلك ولا يخفى ما في البيت من الطباق البديعي وقوله قد صانها الخمار لما اختارها
ضنا بها على سواها واختبى فهي ترى من طول عهد ان بدت في كاسها لاعين
الناس كلا ليس في كثير من الروايات ايضا وماخذ الثاني قول الاعرابي

وتريك رقتها كان الكاس منها خاليه

ولابي نواس

رق الزجاج وراقت الخمر ، فتشابها فتشاكل الامر

فكانما خمر ولا قدح ، وكانما قدح ولا خمر

وله ايضا

درس الدهر ما تجسم منها ، وتبقى لبابها المكنونا

ولابن المعتز

تخفى الزجاجة لونها فكانها ، في الكاس مائلة بغير اناء

قد صانها حفظها وجيها الخمار لما اختارها وانتقاها ضنا للبخل بها اي اختيارها على عن سواها من نوعها اي من جنس المسكر لانها بمنزلة السلطان فيه كما حكي عن ابن خلكان انه سئل عن اشيا من اوصافه واجاب عنها قيل له تعال انك تنسب الى البرامكة وذلك غير صحيح وانك تاكل الحشيشة وتحب المليح قال اما انتسابي الى البرامكة فلو كان غير صحيح لانتسبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فما البرامكة الا مجوس واما اكل الحشيشة فكيف اعدل اليها عن الخمرة ذات السلطان والشان واما محبة المليح فساجيب عنها في غد ان شا الله تعالى واختباها ستر واصله الهمزة وانما سهل للقافية ولما كان صونها واختباوها يستلزمان تقادم عهدها المستلزم لمزيد لطافتها بحيث انها ربما لا تدرك بالعيون اذا احدث شفافة قال فهي سبب ترى من طول عهد تقادم زمان ومدة وهو من الاوصاف الممدوحة في الخمرة لتاثيره في زيادة الاسكار ومن ذلك قول ابن سنا الملك رحمه الله

عمروها طينا وآدم طين ، شيخة في حشا الزمان جنين

قبل ان تغرس الكروم وتلتف عليها الاوراق والزرجون

وثريا

وثريا السماء ما هي عنقود ، وولاية الدجا عرجون

وقال الشيخ عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه

شربنا على ذكر الحبيب مدامة ، سكرنا بها من قبل ان يخلق الكرم

لها البدر كاس وهي شمس يديرها ، هلال وكم يبدو اذا مزجت نجم

وقال ايضا رضي الله عنه

حديثي قديم في هواها وما له ، كما علمت بعد وليس له قبل

حتى قيل فيه انه امر خارج عن العقل لان العقل لا يمكنه ان يتصور شيئا لا قبل له ولا بعد الا في واجب الوجود واجيب بان الصوفية يحكمون في مثل ذلك على الذوق ويقولون في مثله انه من وراء العقل وبذكر قول الشيخ وما له كما علمت بعد الى اخر البيت ذكرت ما انشده بعضهم

ما يقول الفقيه ايده الله ، ولا زال عنده الاحسان

في فتى علق الطلاق بشهر ، قبل ما بعد قبله رمضان

قال الشهاب القرافي ان البيت الثاني ينشد على ثمانية اوجه بالتقديم والتاخير والتغيير مع استعمال اللفظ في الحقايق وفي المجاز وصحة الوزن وكل بيت منها يشتمل على مسئلة من الفقه في التعاليق الشرعية والالفاظ اللغوية وتلك المسئلة تشتمل على سبعماية وعشرين مسئلة من المسايل الفقهية والتعاليق اللغوية بشرط التزام المجاز في الالفاظ وعدم الوزن واطراح الحقايق انتهى والحاصل ان ما بعد قبل الاول قد يكون قبلين وقد يكون بعدين وقد يكون مختلفين فهذه اربعة اوجه كل منها قد يكون قبله قبل وقد يكون قبله بعد فتصير ثمانية والقاعدة ان كلما اجتمع فيه قبل وبعد يحذفان لان كل شهر حاصل بعد ما هو قبله وحاصل قبل ما هو بعده فلا يبقى حينئذ الا بعده رمضان فيكون شعبان

اوقبله رمضان فيكون شوال واما ما تكرر فيه محض القبلية والبعدية فيوخذ
بعددها من الشهور ففي قبل قبل قبله رمضان تكررت ثلاثا فيوخذ بعددها
من رمضان فيكون المعلق عليه ذي الحجة وفي بعد بعد بعده رمضان تكررت
ثلاثا فيوخذ بعددها من رمضان معكوسا فيكون المعلق عليه جمادى الآخرة
ومن هذه الصور تستخرج تلك الصور وهي

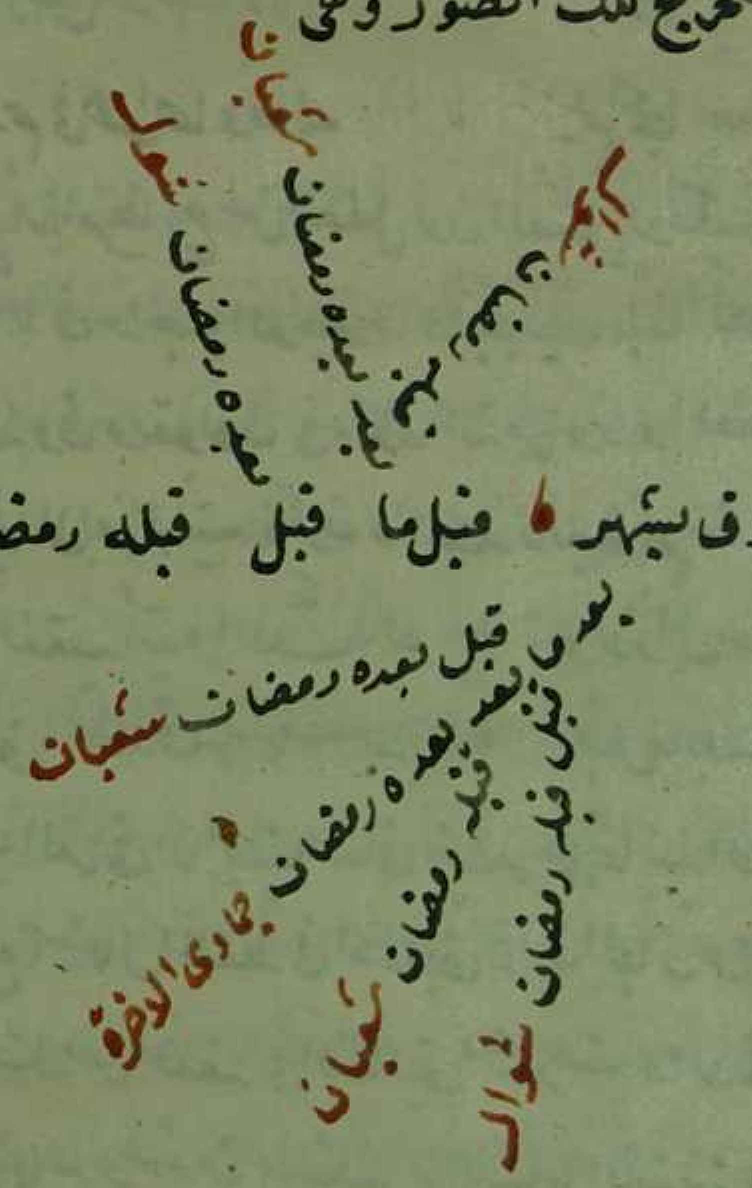

وتقرب مما نحن فيه ما حكى عن ابن ساعد الانصاري انه سئل أول قدومه القاهرة
عن نهاية ما يمكن في البيت الواحد من وجوه العدد بتقديم الاجزاء وتاخيرها
بعضها عن بعض فاجاب بان هذا انما يتاتى من جزئين خاصين من العروض وهما
المتقارب والمتدارك لان ما عداهما اما ان تكون تفاعيله متفقة فتكون سباعية
كالكامل والرجز ونحوهما وهذا لا يتاتى في نظم من كلمات سباعية واما ان تكون تفاعيله
مختلفة

مختلفة من سباعية وخماسية كالطويل والبسيط ونحوهما فلا يحفظ نظامه في تبديل
الاجزاء لاختلاف مقاديرها فيتعين احد البحرين المذكورين لان كل واحد مركب من
اجزاء خماسية فقط يمكن ان تكون كلمات لا تختلف وزن البيت بتقديمها وتاخيرها
ولاجل المعنى يمكن ان يكون من الصفات الواردة في الغزل والمديح ونحوهما ولما
كان البيت الشعر العربي لا يتجاوز مقداره ثمانية اجزاء فنهاية ما يمكن العدد في
صورة البيت الواحد على شرط ان لا يزاد فيه ولا ينقص ولا يختلف عروضه
ولا ضربه اربعون الفا وثلاثمائة وعشرون • بيان ذلك يعرض البيت على
صورة ما فاذا جعل الجزء الأول ثانيا والثاني اول احدثت صورة ثانية
فاذا ابدل الجزء الثالث باول تارة والثاني تارة اخرى على الصورة الاولى
حدث في كل واحد من الصورتين ثلاث صور فيكون المجموع الحاصل بتبديل
الجزء الثالث ما قبله ست صور وعلى هذا القياس تضرب هذه الستة في اربعة
فيحصل اربعة وعشرون عدد الصور الحاصلة في تبديل الجزء الرابع وما قبله وتضرب هذا
العدد في خمسة فيبلغ مائة وعشرين وهو عدد الصور الاصلية الحاصلة عن تبديل
الجزء الخامس وما قبله ثم تضرب هذا العدد في ستة فيبلغ سبعمائة وعشرين وهو عدد
الصور الاصلية الحاصلة عن تبديل الجزء السادس وما قبله ثم تضرب هذا العدد
في سبعة فيبلغ خمسة الاف واربعين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء
السابع وما قبله ثم تضرب هذا العدد في سبعة ثمانية فيبلغ اربعين الفا وثلاثمائة
وعشرين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الثامن وما قبله اعني جميع
اجزاء البيت فاخبره السائل ان الشهاب القوصي ذكر بيتا من المتقارب يتفرع
منه هذا العدد ولم يذكر كيفية تفرعه ولا ذكر المتدارك والبيت •
• حبيب بقلبي جميل مليح • • بديع ظريف رشيق غرير • اهـ

وقد اجاد في الجواب وابدع ، وجمع الفكر الصافي اجمع ، وهذه الصناعة ناشئة عن الملكة التي يتصرف بها الشاعر تصرف الملاك ، ويدور بدرر الالفاظ عند الاملاك ، دوران الدراري بالافلاك ، وقريب من هذا القسم ماتصرف به بعضهم من نظم قصيدة تستخرج من بيوت الفرس برقعة الشطرنج على هذه الصورة بحيث يضم نقل الفرس جميع البيوت ولا يتكرر نزوله في البيت

وحرب	الحرب	نزهة	بنالهم	نفوس	ضرر	اللهو	مستاقفا
للنظر	وليس	الاثر	لما	قاتله	مات	البتر	فيحيى
بينهم	غدت	ترى	اليها	من	عن	فيقتل	لذاتها
ضده	تتوق	النصر	في	اسمر	اذا	الذي	وتلهى
ولاقاهم	ملتظي	منوا	الحذر	بهزل	الحجا	تقاتل	من
ورجل	بها	اقيم	حماه	بها	سلاحهم	وافقت	وادرعهم
اذا	بالقتال	فيقتل	بسر	حصين	للظفر	رضى	جبان
ضده	بخيل	اسمرها	بجد	الفكر	صفا	من	اوجها

والقصيدة

وحرب غدت نزهة للنظر ، تتوق اليها نفوس البشر

وتلهى عن اللهو لذاتها ، اذا وافقت اوجها للظفر

تقاتل الجبان صفا بها ، بجد اقيم بهزل بسر

بخيل ورجل منوا بالقنا ، ولاقاهم النصر لما اسمر

سلاحهم من رضى الحجا ، وادرعهم من حصين الحذر

ترى الحرب بينهم ملتظي ، اذا سعرتها حماة الفكر

فيقتل ضده بها ضده ، وليس ينالهم من ضرر

فيحيى الذي مات مستاقفا ، ويقتل قاتلهم في الاثر

ان بدت ظهرت في كاسها اناءها ولا يطلق عليه هذا الاسم الا مادام في الشراب لا عين الناس كلا شيء من مزيد رقتها ولطفها كما قال ابو نواس

فلم تزل تاكل الليالي ، جسمانها ما بها انتصار

حتى اذا ماتت كل ذام ، وخلص السر والنجار

عادت الى جوهر لطيف ، عيان موجوده ضمار

وقيل المراد بذلك السرعة فان العرب تقول الامر كلا ولا اي بقدر زمن التكلم بهما قال ذو الرمة

اصاب خصاصة فبدا كليلا ، كلا وانغل سائره انغلالا

وقيل المراد كلا ولا اي اعيان وحذفت لدلالة ثانيه من قبيل الاكتفا ومعناه انها تكل اعين الناظرين لان النظر لا يحيط بالشيء الرقيق الابعد مزيد التحقيق فيحصل له الكلال وقوله كأن قرن الشمس في ذرورها بفعلها في الصحن والكاس اقتدى فيه تشبيه بديع وهو متداول بين الشعراء فانهم كثيرا ما يشبهون الخمر بالشمس والكاس بمطلعها والفم بالمغرب الى غير ذلك من التخيلات الصحيحة قال ابن الرومي

وكانها وكان شاربها ، قمر يقبل عارض الشمس

وقال ابن المعتز

اسقنيها خمرا لتخلف الشمس سناها على سواد الليالي

تستخلف

وله ايضا

ولاح من الشمس مخلوقة ، بدت لك في قدح من نضار

وهو آءٍ ولكنه جامد ... وماءٌ ولكنه غير جار

كأن قرن الشمس اول مايطلع منها فى حال ذرورها للطلوع بنعلها الآتى فى الصحن والكاس قال ابن الاعرابى اول الاقداح الغمر وهو الذى لا يبلغ الرى ثم القعب وهو الذى يروى الرجل ثم القدح وهو مايروى الرجلين والثلاثة ثم العس يعب فيه العب ثم الرفد اكبر منه ثم التبن ثم الصحن واما الكاس فهو القدح بالشرط السابق اقتدى فى التاثير فى الافاق بظهور الضياء والحمرة وقد نقلت هذا المعنى الى وجنة الساقى وحمرتها وجعلت ذلك منسوبا الى تاثيرها فيه حيث قلت من جملة قصيدة

غارت على وجنة المديرها ... فاثرت فيه ماقد انقدا فعلا

ومطلع هذه القصيدة

صب صبا فى محبة السعدا ... وغيره لم يكن لها ابدا اهلا

قدحار فى راح قرقف عصرت ... من مزنة الكرم جانبت ريدا جفلا

صمن ولكنها مصحفة ... فاقت على بردذوبها البردا جعلا

غارت على وجنة المديرها ... فاثرت فيه ماقد انقدا فعلا

وتركت ذكر باقيها لطوله وقوله نازعتها أروع لاتسطو على نديمه شرته اذا انتشى ماخوذ من قول بعضهم

اذا اصدتنى الكاس ابدت محاسنى ... ولايخشى ندمانى اذاى ولاجهلى

ولست بفحاش عليها وان اسا ... وماشكل من آذى نداماه من شكلى

نازعتها حادثته عليها أروع وهو الذى يروع بجماله والمراد به المحبوب لاتسطو تطول على نديمه وهو الصاحب فى مجلس الشراب خاصة شرته حدته اذا انتشى من السكر وغاب عن التمييز ومن شان هذه الحالة عدم

الوقار

الوقار وتعاطى افعال الاشرار لا الاخيار واصل هذا المعنى لحسان بن ثابت رضى الله عنه قال

لا اخدش الخدش بالجليس ولا ... يخشى نديمى اذا انتشيت يدا

لفظ خ — وقوله كان نور الروض نظم نثره مرتجلا اومنشدا اوان شدا يتضمن وصف حديثه الواقع على الشراب وهو ماخوذ من قول بشارة بن برد وكان

وكأن روض حديثها ... قطع الرياض كسين زهرا

وله ايضا

وحديث كانه قطع الرو ... ض وفيه الحمراء والصفراء

وللمتنبى

قطف الرجال القول وقت نباته ... وقطفت انت القول لما نورا

فهو المتابع بالمسامع ان مضى ... وهو المضاعف حسنه ان كورا

نور م — كان الروض وهو النبت الابيض واما الزهر فهو الذى يكون ابيض ثم يصفر نظم لفظه يحتمل ان يكون المراد به المنظوم المرادف للشعر ويؤيده مابعده من القرائن المستدعية لذلك ويحتمل ان يكون المراد به النثر من الالفاظ المنتظم الذى لايكون فيه تلعثم ولاتلجلج كاشان المخمورين وعلى قول ابن المعتز

ومقرطق يسعى الى الندماء ... بعقيقة فى درة بيضاء

والبدر فى افق السماء كدرهم ... ملقى على ياقوتة زرقاء

كم ليلة قد سرنى بمبيته ... عندى بلا خوف من الرقباء

ومهفهف عقد الشراب لسانه ... فحديثه بالرمز والايماء

حركته بيدى وقلت له انتبه ... يافرحة الجلساء والندماء

فاجابنى والسكر يخفض صوته ... بتلجلج كتلجلج الفأفاء

اني لا افهم ما تقول وانما … غلبت على سلافة الصهباء
دعني افوق من الخمار الى غد … وافعل بعبدك ما تشا مولائي

ويؤيد هذا الاحتمال قوله السابق نازعتها ولا يبعد ان يسمى مثل ذلك تنازع الاستخدام ويعد من البديع حال كونه **مرتجلا** اي غير مسبوق بمثال تقال ارتجل القصيدة اذا اتى بها على غير روية **او منشدا** وهو من تقرا الشعر **او انشدا** غنى وترنم ويروى وان شدا والبيت مشتمل على الجمع والتقسيم ومن هنا اخذ يذكر انه استعمل اللذات وتقييد التوبة عما فيه معصية منها بقوله **من كل ما نال الفتى قد نلته والمرء يبقى بعده حسن الثنا فان امت فقد تناهت لذتي وكل شيء بلغ الحد انتهى وان اعش صاحبت دهري عالما بما انطوى من صرفه وما انبرى** والبيت الاول ماخوذ من قول الشاعر

ولكل ما قال الفتى قد قلته … الا التحيب

ومن قول الاعشى

ويوم هوازن لا تنسه … ليس الثنا والذكر بالغابر

والبيت الثاني ماخوذ من قول قيس بن الخطيم

متى يات هذا الموت لم تبق حاجة … لنفسي الا قد قضيت قضاءها

والبيت الثالث ناظر الى قول الشاعر

لقد عجبت مني الحوادث ماجدا … عروفا بريب الدهر حين يريب

والبيتان الاولان مشتملان على التذييل البديعي **من كل ما شي ناله الفتى** من اللذات **قد نلته** واصبته غير اني تبت ورجعت عما قبحه الشرع ومنعه حيث كانت الدنيا زائلة واللذات منقطعة ولم يزل وصمة ذلك بعد الموت

والمرء يبقى بعده حسن الثنا وقبحه ايضا وانما ترك ذكره اكتفا كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد وهذا كله مع قطع النظر عن الدار الآخرة والا فالهول ثمت اجمع والذلة هناك اشنع يوم تشهد عليهم السنتهم الآية **فان امت** بعد هذه التوبة **فقد تناهت لذتي** وفرت بها **وكل شيء بلغ الحد** الغاية **انتهى** الى غايته فلا ياسف على البقا وقد ضمن الصلاح الصفدي هذا الشطر ونقله عن معنى اخر وقد تقدم قوله

قل للرقيب يستريح من رصدي … ما صبح المعشوق عندي منتهى
وارتد قلبي عن سيوف جفنه … وكل شيء بلغ الحد انتهى

وان اعش استمر حيا **صاحبت دهري** حال كوني **عالما بما انطوى** استتر **من صرفه** نوائبه وتقلبه **وما انبرى** انكشف منه وبه يحصل الطباق بين انطوى وانبرى وذلك لممارستي له وعلمي به علم يقين لكثرة ما شاهدته منه فلا استعمل نفسي الا في مرضاة الله واترك ما ودعته من اللذات في عصر الشبيبة وبعد علمي بقبحها اقول **حاشا لما اساره في الحجا والحلم ان اتبع رواد الخنا** وهو ماخوذ من قول الشاعر

واني لتنهاني خلائق اربع … عن الفحش فيها للكريم روادع
حياء واسلام وشيب وعفة … وما المرء الا ما حنته الطبائع

ومن قول الكميت

فما غاب عن حلم ولا شهد الخنا … ولا استعذب العوراء يوما فقالها

حاشا تقدم الكلام عليها **لما اساره** سبق الكلام عليه وعلى اشتقاقه **في الحجا** المتقدم ذكره **والحلم** المشروح سابقا من **ان اتبع رواد** جمع رائد وهو المتقدم امام القوم ليختار لهم منزلا **الخنا** الفساد بان اقلدهم في فسادهم وعطف

عليه قوله أو أن أرى مختضعا لنكبة او لابتهاج فرح او مزدهي وهو
ماخوذ من قول متمم بن نويرة

ولست اذا ما الدهر احدث نكبة ... ورزء بزوار القرايب اخضعا
ولا فرحا ان كنت يوما بغبطة ... ولا جزعا ان ناب دهر فأفجعا

اوای وحاشا ان أرى مختضعا متذللا وهو مفعول ارى وقول بعض
الشارحين انه حال من ضميره خطأ لان المقصود نفي رويته كذلك لا نفي
رويته في هذه الحالة لنكبة وقد سبق بيانها او ان أرى لابتهاج لسرور
فرحا وهو صفة مشبهة او مزدهي صاحب زهو وكبر لمرور ذلك على
مرات عديدة فما صار يوثر عندي شيأ من فرح او ترح قال مرداس

ولا فرح بخير ان اتاه ... ولا جزع من الحدثان لاع

والبيت مشتمل على الطباق البديعي وفي بعض النسخ ثم الصلاة دايما مني
على محمد وآله ذوي النهى ليس ذلك في اكثرها والمعاهد في قصائد
المتقدمين ذلك وما داينا من يثبته في اخر القصائد غالبا الا المتاخرين
من الشعرا وهو اليق وانسب ليكون اخر الكلام على هذه القربة العظيمة
والفضيلة الجسيمة ثم الصلاة السابق بيانها دايما بطريق الاستمرار مني ومن
الله ومن سائر المخلوقات على محمد صلى الله عليه وسلم ومجد وكرم وقد فعل
ذلك كما قال حسان رضي الله عنه

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

وآله ذوي النهى العقل والمراد به الكامل الوافر كما نقله جدي المحب الطبري
من ان عقل الرجل من بني هاشم بعقل رجلين من غيرهم صلوات الله وسلامه
عليهم فان لهم القدح المعلى والحظ الاعلى بقرابة سيد ولد عدنان

انسان

انسان العين من عين الانسان لا زالت لهم الدرجات الرفيعة والرتب
الحصينة المنيعة اللهم ادم عليهم صيب رضوانك واسبغ عليهم لطايف
عفوك وغفرانك وخصص اللهم من بينهم غصن الدوحة المحمدية ونتيجة
المقدمتين العلوية والفاطمية الذي رفعت له على هام السماك قدما ونصبت
له بين الاملاك قبابا وخيما ونشرت لنصرته في مداين الاملاك علما
وجعلته بين خلقك اماما عدلا وحكما واسعفته بالامدادات الربانية
خلفا واما ومنحته حلما يعادل أمما وافضت عليه من سحايب جودك
جودا وكرما ونعم على خلقك بذاك وهما خليفتك في بلادك على عبادك
وامينك في القيام بمصالح اوليائك وعبادك حامي حوزة بيتك المحرم بعضبه
وسنانه مظهر منك حرمك المعظم بقاضب لسانه وبنان سنان بنانه
مولانا المؤيد بتحرك في ساير السكنات والحركات السيد الحسن بن ابي نمي
ابن بركات اللهم سور قرائك له سورا وسرايرامتنانك له سرورا
واحرس ذاته الشريفة بالسبع المثاني من الست جهات وأيد قضايا احكامه
النافذة من الموجهات اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وارحمنا
واياه بحرمة المصطفى واهل الصفا واختم لنا منك بخير والمسلمين
قال مؤلفه رحمه الله فرغت من تاليف هذا الكتاب لاربع عشر يوما من شهر
رمضان المعظم سنة اربع بعد الالف والحمد لله وحده وصلى الله وسلم
على من لا نبي بعده

يقول ناسخه الفقير عبد الله بن يوسف الاخهي بلدا المالكي مذهبا الحنفي
طريقة ومشربا قد فرغت من كتابة هذه النسخة يوم الخميس غرة شهر جمادى
الثانية من شهور سنة ١٢٧٥ الف ومايتين خمسة وسبعين هجرية على صاحبها افضل التحية